

معوقات تربية المرأة في التراث الإسلامي وتداعياتها المعاصرة

د. لطيفة حسين الكندري

د. بدر محمد ملك

دروس الماضي لا تعني أبدا التقليل من قدر من سبق فلكل سبقه وفضله وظروفه الخاصة. قال جل ثناؤه "وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ" (الحشر: ١٠).

## المحتويات

### Contents

المحتويات	١
ملخص البحث	٢
المقدمة	٣
أهمية البحث	٥
هدف البحث	٦
منهج البحث وخطواته	٧
أسئلة البحث	٧
الدراسات السابقة	٨
الإطار النظري لفهم التراث	١١
أسباب الانحراف	١٣
التقليل من قدر شخصية المرأة	١٧
تحديات تحد من حركتها المجتمعية	٢٥
تعليم الأنثى وتأديبها	٢٨
التداعيات الراهنة	٣٤
دور التربية	٤١
النتائج والدلالات	٤٥

٤٨	التوصيات
٤٩	ملحق: منشورات
٥٣	قراءات في تربية الفتيات
٥٥	أهم المراجع العربية
٦٤	أهم المراجع الأجنبية

### ملخص البحث

هدفت الدراسة إلى توجيه أنظار الباحثين إلى العقبات التي واجهت تربية المرأة وترسباتها في العقل المسلم اليوم، وإبراز المآزق التعليمية المرتبطة بها؛ لوضع حد لتحدياتها المعاصرة وتقديم المقاربات الكفيلة بالنهوض بتعليم المرأة. وتهدف الدراسة أيضا إلى تشجيع الدراسات النقدية وتياراتها التربوية في إطار التقدير الكامل لمحاسن التراث، وضرورة التجديد، و تنمية الوعي العام بأهمية العقل الناقد وعدم التسليم بكل ما هو قديم.

تستخدم الدراسة المنهج الوصفي التحليلي للرؤى والاتجاهات في فهم الإشكاليات مع تفعيل الآليات النقدية من أجل التعرف إلى خصائص الظواهر أو جذور المشكلات وتقديم الحلول على أرض الواقع. وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها أنه لم تسلم كتب التفسير، وشروح الحديث النبوي، والأدب والتاريخ والفلسفة من عبارات قاسية تهمش الأنثى وتعيق تقدم تعليم وتربية المرأة . لعبت الأمثال الشعبية، وطائفة من آراء الفقهاء والمفسرين، والعادات والتقاليد، دورا مؤثرا في وجود عوائق حمة أمام تربية الأنثى . انقسم الفكر الإسلامي إزاء تعليم المرأة إلى ثلاثة أقسام؛ قسم يمنع تعليم المرأة، وقسم يقبل تعليمها بحدود ، وقسم يعتبرها شقيقة الرجل لها مثل الذي عليه حسب رغبتها وحاجة المجتمع .

Abstract:

### **Impediments in women's education and its contemporary implications in the Islamic heritage**

Dr. Latifah Hussein. & Dr.Bader Mohammed  
College of Basic Education – Public Authority for Applied  
Education and Training – Kuwait

This study aims to draw the attention of researchers to the obstacles faced by the education of women and its effect in the Muslim mind today. The study also highlights the educational dilemmas associated with them; to put an end to the contemporary challenges and approaches and ensure the advancement of women's education. Furthermore, the study encourages critical studies and the need for renewal while appreciating the virtues of the heritage.

The study uses a descriptive analytical approach to the insights and trends in understanding the roots of the problems and finding realistic solutions. Moreover, the study concluded with many results including the fact that some books in the fields of philosophy, history, literature, and religion including the explanations of the Quran and Hadith posses harsh words that marginalized women and impeded the progress of women's educational rights. The final results of this study also explained that the Islamic thought in general is split into three sectors: one that prevents the education of women, another that accepts but limits women's education, and the last but not least section which completely accepts women's education according to her choice and the society's needs.

#### المقدمة

ليس ثمة موضوع أدهى للبحث والدراسة من تربية المرأة عبر القرون لأنه موضوع يمس المجتمع بأسره، والمستقبل بأكمله. إن شأن المرأة من منظور التراث يحمل معطيات تربوية جديدة بالتحليل والتعليل

والتفصيل وصولاً إلى استثمار التراث عملياً وتوظيف نتائجه. التراث ثمرة لعمليات تربوية ومخرجات تعليمية نجحت في البقاء والاستمرار من جيل لآخر.

تشير التقارير المحلية والدولية إلى إشكالية المرأة العربية فنسبة غير قليلة من العربيات يعشن مع بقايا الأغلال الاجتماعية والمثبطات النفسية المتمثلة في هيمنة العادات القديمة البالية فليس لهن حق التعليم أو اختيار التخصص الدراسي أو ميدان العمل أو الزوج إلا في أضيق الحدود. ومن جهة أخرى وعلى النقيض الآخر نجد تقمص الشخصية الغربية في أوساط فئة -جانها الصواب- فأخذت المرأة تلهث خلف حرية مزعومة، حتى تضاءلت مساحة الهوية الأصيلة وانكشفت الذاتية الحضارية وسط التقليد الأعمى للأجنبي.

يحترم الإسلام مكانة المرأة أيما احترام فهو دين الفطرة النقية فأمر بالعناية بتعليم وتربية البنات وحض نظرياً وعملياً على ذلك. إن من أعز ما يقدمه الإسلام للإنسانية الصورة الناصعة المنصفة لطبيعة المرأة وتكوينها الجسدي والنفسي حيث يؤمن بأن مواهبها واستعداداتها تسع لتحصيل المعارف، وتنمية المجتمع، وإدارة الأمور في الحياة الخاصة والعامة. تقوم التربية الإسلامية على أن عملية تثقيف البنات من أوجب الواجبات ويجب أن تتحرر من جميع الموروثات السلبية. مازالت التيارات الجامدة تغذي الثقافة السلبية باسم الدين أو التقاليد أو القوانين المتحيزة فتقلص ميادين تربية الأئشى وتزيد من معاناتها وتعيق أو تكبل حركتها.

هذا الاتجاه له جذوره الماضية ويتعين فهمه والتعامل معه بموضوعية. إن الكثير من وصايا القدماء التي يراد لها أن تكون الحق وحده والفيصل في الأمر كله تهدف في نهاية المطاف إلى عزل المرأة عن مجريات الحياة الفاعلة في مجتمعها. هذا الاتجاه يواجه اليوم نقداً موضوعياً متنامياً لأنه يعارض سماحة الإسلام ومرونته أولاً ويناقض أبسط مبادئ المواطنة، والمواثيق الدولية، والتوجهات التربوية المعاصرة.

قال قاسم أمين "لو كانت عواندنا فيما يتعلق بالنساء لها أساس في شريعتنا لكان في ميلنا إلى المحافظة عليها ما يشفع لنا" (عمارة، ٢٠٠٦، ص ٤١٢) ولكن سطوة العادات الجائرة لها هالة في نفوس معظم الناس. إن تحرير المرأة مطلب إصلاحي في الوطن العربي كله (عويد، ٢٠٠٦م، ص ٨٤)، ولا زالت قضية المرأة من الثُّغور المفتوحة (بنت الحسين، ٢٠٠١م) إذ لم تتمكن إلى الآن من هضم التراث واستيعابه (الميلاد، ٢٠٠٨م، ص ٢٨٠) ومعالجة إشكالاته وتجاوز مآزقه.

ما الذي يدفع الفكر المتشدد لنهج المسلك القديم في التضييق على الإناث؟ وإلى أي مدى تلعب الموارث السلبية السالفة في توجيه الحاضر وتعكير صفوه وتأخير تقدمه؟ وفي أي مجال يزداد خطره وما سبل العلاج؟ هذه الأسئلة وغيرها في غاية الخطورة لأنها تمس كل بيت وتشكل في الختام نسيج المجتمع وتنظم حركته.

تنطلق هذه الدراسة من أهمية تقدير التراث دون تقديسه وتبذل المساعي لتنقية القديم والتواصل مع العصر على بصيرة لترقية الثقافة، ولكل مجتهد نصيب. لا يقصد البحث الراهن مجال من الأحوال التقليل من قدر مذهب أو عالم أو بلد إنما يسعى نحو إعمال الوعي في مجال فهم العوائق المانعة لتعليم المرأة وحركتها المجتمعية وما يقلل من قدرها وطاقتها. تلك المعوقات لا زالت تعرقل -جزئياً أو جوهرياً- الجهود المبذولة في هذه المجال التنموي الحيوي.

### أهمية البحث

القيم التي ورثها المجتمع العربي بعضها قيم إيجابية كالشجاعة والإيثار والتعاون، وثمة قيم سلبية مثل التحيز للقبيلة والنظرة إلى المرأة واعتبارها أدنى قيمة وهنا يتعاضد دور المؤسسات الجامعية في مواجهة هذه الإشكاليات (البرعي، ٢٠٠٢م، ص ١٨٨) وبجتها بأناة عبر أدوات منهجية لمعالجة الخلل وتقليص السلبيات وتحسين نوعية الحياة.

سيركز البحث الراهن على الموروثات المثبطة لمسيرة تنمية المرأة فلا يمكن فهم التحدي والانحراف اليوم دون تتبع لما سلف فالحكاية لها جذورها عبر العصور واختلاف الثقافات. فيما يلي مجموعة نقاط تكشف عن أهمية دراسة عوائق تربية المرأة في الفكر الإسلامي وانعكاساتها على العصر الحديث والفكر الجمعي إجمالاً:

١. إذا لم نتسلح بالإضاءة التاريخية التي تكشف لنا مسار تعليم المرأة كروية جديدة للمجتمع والعالم فلن نفهم التغيرات الكبرى في حياتنا المعاصرة (المرنيسي، ٢٠٠٣م، ص ١٠٤) ولن نعرف ما تم إنجازه وما نحتاج إلى تحقيقه. تنقية التراث وإعادة تفكيكه وقراءته وتأويله بمنهج نقدي وتوجيه الثقافة توجيهها سليماً من السنن التربوية التي لا تتوقف ويمكنها أن تكشف الكامن من العزل الاجتماعية كي نتجنبها ونضع الحلول لتراكماتها.

٢. قال محمد عبده "إن أخطر أسباب الضعف التي أصابت المسلمين أن النساء قد ضرب بينهن وبين العمل بما يجب عليهن في دينهن أو دنياهن بستر لا ندري متى يُرفع" (النجار، ٢٠٠٨م، ص ١٦١). ولهذا قال الشدياق "لا تُهضة للشرق إلا بهضة المرأة" وقريب من ذلك قال ابن باديس "المجتمع لا ينهض إلا بالجنسين الرجل والمرأة مثل الطائر لا يطير إلا بجناحيه".

٣. يحتاج موضوع تربية المسلمة إلى المزيد من البحث والدراسة (باحارث، ٢٠٠٧م، ص ١٣).

٤. ضرورة معرفة معالم فكر المتشدد الذين يعرقلون مسيرة تمكين المرأة وتحليل منطقتهم وتفكيك منطلقاتهم. إن فهم جذور ذلك التطرف من أسباب قطع دابره بل قد يكون من أهم سبل الوقاية والعلاج.

٥. معوقات تربية المرأة انتشرت في ثقافات العالم واليوم بدأت محاولات شتى لعلاج ذلك الخلل التاريخي. تشير الأمثال العالمية -على سبيل المثال- بشكل قاطع إلى أن إشكالية تربية المرأة ليست وقفاً على ثقافة أو مذهب أو عصر بل معظم الأمم عانت من شيوع النظرة الدونية وسيطرة الاستبداد الذكوري تحت مسميات متنوعة.

٦. لا زالت بعض فصائل المد الإسلامي الحديث تنتقص من أهلية المرأة وتمسك بالعادات والتقاليد مع الفهم المغلوط للدين (سلطان ومجاهد، ٢٠٠٨م، ص ٢١٧).

٧. إن "الصور النمطية للمرأة خطيرة على المجتمع كله لأنها تشوه الذات الإنسانية فيها بقدر ما تشوه وعي الرجل بذاته وتفسد علاقاته بغيره، بدءاً بأقرب الناس إليه" (الزهراني، ٢٠٠٧م).

٨. توضح تقارير التنمية الإنسانية العربية على أهمية معالجة قضايا المرأة العربية (التنمية الإنسانية العربية ٢٠٠٩، ص ٧، ٢٠٠٠) وتطالب بتمكين النساء من أجل تنمية بشرية سليمة ومجتمع أساسه المعرفة. وتشير الكثير من التقارير الدولية إلى أن المرأة العربية بدأت تأخذ حقوقها وتتقدم بخطوات صغيرة وتكسب المزيد من مساحات الحرية (butters, 2009, p. 20).

٩. خطر العوائق الداخلية يفوق الحصر، والكيس الحكيم يصون حصونه إذ أن داء النفس أخطر من بلاء الأعداء. لا شك أن الهجمات الشرسة للتشكيك في الدين كمصدر لتربية المرأة المسلمة مستمرة وهي حملات علمانية أو استشراقية ظالمة ولكن نقد الذات ومراجعة التراث أولوية لا تقل أهمية عن صد الهجمات الخارجية ضد الدين.

١٠. الكثير من المأثورات أخذت طريقها نحو الانترنت وفارقت رفوف المكتبة لتختلط بحياة الناس من جديد بحلة جذابة وبنطاق أوسع إسلامياً وعملياً ولكن بنفس المضمون الذي يزدري المرأة في مواضع كثيرة.

## هدف البحث

١. توجيه أنظار الباحثين إلى العقبات التي واجهت تربية المرأة وترسباتها في العقل المسلم اليوم وإبراز المآزق التعليمية المرتبطة بها لوضع حد لتحدياتها المعاصرة وتقديم المقاربات الكفيلة بالنهوض بتعليم المرأة.

<sup>١</sup> نجد في الأمثال الشعبية عالمياً عبارات تعكس التفكير النمطي وتكشف مدى التحيز ضد الإناث منها: انتظر شهراً كي تمدح حصاناً، وسنةً كي تمدح امرأة - احذر المرأة السيئة - ولا تثق بالمرأة الجيدة - ينسى الحسون التغريد ولا تنسى المرأة الكلام - المأل والنساء يُفضَلن الأغيبياء - من يثق بالنساء يكتب على الثلج - نصيحة المرأة لا تنفع سوى المرأة - لا توجد إلا امرأة شريرة في العالم، وكل زوج يخالها زوجته - المرأة شغرها طويل، وفكرها قصير - احذر النساء السنيات السيرة، أما سائر النساء فلا تثق بهن - الرجل العالم بيني والمدن، والمرأة العالممة تخدمها - لا تثق بامرأتك قبل أن تنجب لك عشرة أولاد - ضعف الرجل يصنع قوة المرأة. المرأة هي الباب الرئيسي للحجيم (انظر: موسوعة الحكم والأمثال، شركة العريس).

٢. تشجيع الدراسات النقدية وتياراتها التربوية في إطار التقدير الكامل لمحاسن التراث وحق الاجتهاد، وضرورة التجديد.
٣. تنمية الوعي العام بأهمية العقل الناقد وعدم التسليم بكل ما هو قديم. ليس كل قديم محمود وليس كل جديد مذموم.
٤. تقديم مقترحات عملية لصناع القرار السياسي في الحقل التربوي من أجل ترسيخ أسس المساواة بين الجنسين في المناهج الدراسية وصولاً إلى تكثيف الجهود الرامية لتحقيق العدالة.
٥. إثراء المكتبة النسوية بدراسات بحثية تربوية تتبع جذور التمييز ضد الأنثى في كافة مراحل حياتها وذلك بغرض تنقية الثقافة الحديثة من ترسبات الماضي السلبية التي تقوض صورة الفتاة.

### منهج البحث وخطواته

تقوم هذه الدراسة على توظيف المنهج الوصفي التحليلي للرؤى والاتجاهات في فهم الإشكاليات مع تفعيل الآليات النقدية من أجل التعرف إلى خصائص الظواهر أو جذور المشكلات وتقديم الحلول على أرض الواقع<sup>١</sup>. ويعتني هذا المنهج بتفسير موضع البحث تفسيراً كافياً وتنظيم المعلومات واستخلاص التعميمات المناسبة التي تؤدي إلى تقدم العلم. ستقوم الدراسة الراهنة باستقراء كتب تطور الفكر التربوي الإسلامي والاطلاع على ما يتيسر من الكتب التراثية على وجه الانتقاء والاستشهاد لا الحصر، متابعة قضية معوقات تربية المرأة، متفحصاً تحدياتها ثم مقارنتها بالواقع أملاً في وضع مجموعة مقترحات وقائية وعلاجية ونمائية. وستكون أسئلة البحث هي الخطوات الموجهة والمحاور الرئيسة لاستعراض مادة البحث الراهن. كتب التراث ذات الصلة هي الساحة الميدانية لتخصيب النقاش وتوجيه المقاربات الفكرية وإيراد الشواهد والإشكاليات والوقوف عند التيارات الثقافية السائدة آنذاك ونظرتها لتعليم المرأة وسبل تكوين شخصيتها والتعامل معها.

لن نتطرق الدراسة الحالية -في الغالب الأعم- لأسانيد المآثورات الواردة في البحث والتي تعارض تعليم المرأة وتقلل من قدر الأنثى فهي في جملتها واهية متنا وسندا فلا حاجة لنا هنا لبيان جرحها.

### أسئلة البحث

١. ما أسباب الانحرافات في عملية تربية وتعليم المرأة المسلمة؟
٢. ما الشواهد التراثية الدالة على تقليل قدر شخصية المرأة؟
٣. ما العوائق المانعة لحركة المرأة في المجتمع قديماً؟
٤. كيف تأثرت التربية الراهنة بالموروثات السلبية؟

<sup>١</sup> (الوشحي، ٢٠٠٩م، ص ١٤، سلطان، مجاهد، ٢٠٠٨م، ص ٢٢٢، العلواني، ٢٠٠٣م، ص ١١، بدوي، ٢٠٠٩م، ص ٣٨، رجب، طه، ٢٠٠٩م، ص ١٠١).

٥. كيف تستطيع التربية المعاصرة أن تتغلب على الموانع التراثية؟

### الدراسات السابقة

وقفت دراسة الوشمي (٢٠٠٩م) على قضية تعليم البنات في المملكة العربية السعودية واعتمدت الدراسة باستجلاء مواقف المناصرين والممانعين في القضية. وكان الحيز الآخر من الدراسة هو عرض بعض المقالات والوثائق لبيان الحراك الاجتماعي والديني والإعلامي النشط في منطقة محافظة في قلب الجزيرة العربية، وما زالت بقاياها تعيش وتنمو في مقولات لاحقيهم. استخدم الباحث في دراسته المنهج التوصيفي التحليلي للرؤى والاتجاهات. استهل الباحث دراسته بفصل بالعنوان التالي "طريق الحرام وإهدار الدم" (ص ١٥). أكد الباحث أن "قراءة حالة المجتمع من خلال الموجهات الوصفية التي رصدها الكتاب تكشف عن تشظي الهوية الحضارية، كما تكشف عن الخصومات الفكرية التي ظهرت بين التيارات المختلفة، حتى تم وصف تعليم البنات طريق الحرام" (ص ١٩). توصل الباحث في دراسته إلى أن "تعليم البنات في المملكة العربية السعودية قد تم من خلال عدد من المراحل:

١. البدء بالتعليم النظامي للبنين، وتأصيل ذلك الأمر الرسمي.
٢. الإذن لمدارس تعليم البنات الأهلية ودعمها.
٣. الإرادة الملكية بتعليم البنات والتنصيب على دور العلماء.
٤. استثناء مدينة بريدة بعد صدور القرار بافتتاح مدرستها استجابة لمطالبة الممانعين بعدم افتتاحها.
٥. افتتاح مدرسة بريدة، وجعل الأمر خياراً لا إجباراً فيه.
٦. إلغاء الإشراف المستقل المتمثل بالرئاسة العامة لتعليم البنات، وجعل الأمر مرتبطاً بوزارة التربية والتعليم.

وبينت الدراسة إلى أي درجة كانت إشكالية أو فتنة تعليم الفتيات حتى وصل الحال ببعضهم إلى أن يكتب وصيته بأن لا تتعلم بناته في المدارس الحكومية. ولا زال بعضهم حتى اليوم يرفض تعليم بناتهم إلا عند سيدة يعلمها القراءة والكتابة رغم التغيير الكبير الذي حصل اجتماعياً (ص ١٦٦).

استعرضت دراسة باحارث (٢٠٠٧م) أسس التربية العقلية للفتاة المسلمة عبر بيان ثلاثة أسس:

١. طبيعة الفتاة العقلية مقابلة بالطبيعة العقلية لدى الذكور من جهة الفروق العقلية، والإنتاج الفكري.



٢. طبيعة المعرفة العقلية المناسبة للفتاة المسلمة من جهة ضوابطها، وحدودها، وطبيعة المنهج التعليمي المناسب.

٣. استعراض أهم مواهب الفتاة العقلية، وسبل تنميتها، وأهم المعوقات التي تحول دون استمتاع الفتاة بملكاتها العقلية ضمن حدود إمكانيتها (ص ٢٩٤).

وكانت أهم نتائج الدراسة هي أن المرأة تختلف عن الرجل في أساس الطبيعة العقلية، وهناك انخفاض ملحوظ في تفوق الإناث الفكري، ودرجة إبداعهن العقلي، وحجم إنتاجهن العلمي. هذا قد يثير في نفوسهن شيئاً من مشاعر الإخفاق، والإحساس بالقصور العقلي، وهنا يأتي دور التربية في التأكيد والإقناع بأهمية وظيفة الإناث الفطرية في الإنجاب ورعاية النشء، وضرورتها الحيوية في عمارة الأرض، واستمرار الحياة (ص ٢٩٤).

قام الباحث الزهراني (٢٠٠٧م) بالكشف عن مدى تقدم نظرة ابن رشد إلى قضايا المرأة ضمن الشروط المعرفية والوضعيات الاجتماعية في عصره. فعندما كان ابن رشد يشرح كتاب الجمهورية لأفلاطون قدم أطروحة متكاملة بهذا الصدد يمكن اختزالها كالتالي: تشترك المرأة والرجل في النوع والطبع والكفاءات الذهنية والعملية وإن اختلفت عنه في بعض الخصائص والوظائف. وحالة التردّي التي كانت تعيشها النساء في المجتمع العربي المسلم آنذاك تعود إلى تصورات خاطئة موروثية من ثقافة قبلية أبوية تحرم المرأة من اكتساب الفضائل والمهارات. وتغيير هذه الوضعية البائسة يقتضي تغيير وتجاوز تلك التصورات الخاطئة والمتحيزة ضد المرأة والتي لا بد أن تورث المجتمع كله الضعف المادي والمعنوي نظراً لكون النساء يشكلن أغلبية المجتمع. أكد الزهراني على أن النساء من منظور ابن رشد يمكن أن يشتركن مع الرجال في "كل الأعمال والمجالات وفق معيار الكفاءة الفردية وليس وفق معيار الجنس المؤنث أو الذكر. ومثال العمل المشترك بين الجنسين صناعة الألبان التي تبلغ كمالها إذ أنشأها الرجال ونفذتها النساء. ويعتقد الباحث أن ذلك الموقف يدل على تفتح ذهن ابن رشد وجرأة موقفه الذي يقبل فكرة أن تربي المرأة على الموسيقى والرياضة كالرجال. وتوصل الباحث إلى أن موقف ابن رشد المتحرر يبرز مدى أصالة فكره وعمق آرائه وجرأة مواقفه مقارنة مع خطاب الفقهاء التقليديين الذين كرسوا الكثير من التصورات القبالية الذكورية المتحيزة ضد المرأة.

قامت فريال مهنا (٢٠٠٦م) بكتابة بحث موسع يقارب ٥٠٠ صفحة بعنوان إسلام أم ملك يمين حاولت الباحثة تقديم مقاربات متنوعة وفق منهج تفكيكي للتعاطي الفقهي المتساوق مع سياقات الدورة الحضارية الجارية حيث غيب التراث الفقهي المقاصد القرآنية ذات الطابع الكلي الشمولي. أكد البحث على أن المجاهدة العقلانية هامة ضد "حراس تراث إسلامي متراكم ضرب، على مر العصور، حصاراً محكماً حول الكليات القرآنية وحول أساسيات السنة القولية والسلوكية تجاه المرأة، ليعمم فقهاً مسيطراً

ومحتكرا، استطاع أن يعيد إحياء حالات ووقائع جاهلية في إطار الدين الجديد، مبطلا مفعول جوهر المتغير الإسلامي في حياة المرأة". وورد في البحث: "لقد حاول معظم الفقه الإسلامي المستنير أن يخفف من وطأة الظلم الذي أوقع بالمرأة علماء قرون التشدد والتزمت غير أن هذا الفقه انهمك في صياغات تبريرية وتسويغية، مغفلا التعارض القائم بين القوانين القرآنية الشمولية تجاه المرأة، وبين تفاصيل الحياة الإسلامية الأولى التي اختلطت بثقافة جاهلية راسخة وامتزجت بقيم العبودية التي أداها الإسلام في منطلقاته وتعاطى معها في تفاصيله كأمر واقع يحتاج التحرر منه إلى فترات زمنية طويلة لا يتسع لها عصر الرسالة" (ص ١٠). تشير الباحثة إلى أن الخطاب المعاصر يروض المرأة المسلمة على قبول تعدد الزوجات دون التحدث عن مخاطر التعدد (ص ٢٩١).

اهتمت دراسة العلواني (٢٠٠٣م) بموضوع العرف، وحاولت "الكشف عن أثر العرف في كيفية فهم المجتهد، وطريقة تناوله لنصوص الأحكام المتعلقة بقضايا المرأة، ومن ثم بناء بعض الأحكام الفقهية على أساس تلك الاجتهادات التي غالبا ما أثرت فيها الأعراف والبيئات المختلفة بشكل واضح" (ص ٩). وجاءت أهمية الدراسة في نقطتين:

١. عدم إدراك الناظر لأثر الواقع والبيئة على طريقة تناول المجتهدين في الماضي والحاضر للنصوص، يمكن أن يؤدي إلى نوع من الخلط واللبس، وعدم التفرقة أو التمييز بين طبيعة العرف والبيئة، التي ساهمت بشكل أو بآخر في إفراز مختلف الاجتهادات البشرية المحدودة التي يجري عليها الخطأ والصواب من جهة، وبين النصوص الدينية المطلقة التي تمثل المرجعية العليا للمسلم في مختلف العصور والأزمان والبيئات من جهة أخرى.
٢. تسليط الضوء على بعض الجوانب التي لم يتناولها الباحثون في موضوع العرف من قبل، والتأكيد على أهمية الوقوف على الظرفية التاريخية والاجتماعية في البيئات التي برزت فيها الاجتهادات المختلفة (ص ١٠).

توصلت الباحثة إلى نتائج عديدة يمكن تلخيص بعضها منها في النقاط التالية:

١. للأعراف والظروف الاجتماعية أثر بالغ الأهمية في تأويلات المجتهدين للنصوص، متمثلا في إقبالهم في بعض الأحيان على النصوص، برؤى مسبقة وأفكار جاهزة، ومن ثم تأويلهم وفهمهم للنصوص من خلال تلك الرؤى.
٢. ضرورة الاستفادة من مختلف الإمكانيات المتوافرة لتحقيق الفهم السليم المنضبط للنصوص الشرعية مع مراعاة عدم التكلف في استعمالها، والتوغل فيما دون الضوابط الأخرى.
٣. أهمية مراجعة وتصحيح المواقف الاجتهادية القائمة على منهجيات التبرير والتعليل، ومحاولة تجاوز تحديات الفكر الغربي في قضايا المرأة على وجه الخصوص.

ناقشت دراسة البنا (١٩٩٨م) المرجعية الفقهية التي يعود إليها الفقهاء عندما يبحثون عن الحكم الشرعي حيث تختلف اختلافا كبيرا - قد يصل إلى درجة التعارض - مع المرجعية القرآنية أي التي تعود إلى القرآن مباشرة (ص ٦). وتهدف الدراسة إلى معالجة قضايا المرأة من خلال الفهم الصحيح للإسلام بالعودة إلى القرآن مباشرة دون تقييد بما جاء في تفسيرات المفسرين أو أحكام الفقهاء (ص ٨). احتوت الدراسة على ستة فصول ناقش الباحث في الفصل الأول موقف المجتمع الجاهلي والمرأة ومنهج القرآن لتحرير المرأة والمرأة كإنسان. وتطرق الباحث إلى الزي والحجاب والزواج والطلاق. وفي الفصل الثاني ناقش الباحث دور الرسول صلى الله عليه وسلم نصيرا للمرأة وداعيا للجمال. وفي الفصل الثالث تحدث الباحث عن المرأة في المجتمع الإسلامي الأول. وأوضح الباحث دور الشخصيات النسائية في صدر الإسلام ممن ساهمن في الحروب والغزوات، ومكائتهن البارزة في عالم الفكر. وناقش الباحث في الفصل الرابع رأي الفقهاء وعهد القيود والسدود. وفي الفصل الخامس شرح الباحث دور الفقهاء المعاصرون من قضايا المرأة. وفي الفصل السادس والأخير تحدث الباحث عن معالجة قضية المرأة في ضوء فقه جديد. ويرى البنا أن الأحاديث المروية في كتب السنة، بما في ذلك الصحاح تحتاج إلى غربلة جديدة، والمعيار الذي تقوم عليه هذه الغرلة هو الاتفاق مع نصوص وروح القرآن الكريم (ص ١٧٧ - ١٧٨).

### الإطار النظري لفهم التراث

لقد تغنى المسلمون عبر القرون ببغداد دار النابغات، ودمشق موطن العالمات، والأندلس أرض الشعراء، ومصر بلد المثقفات. منذ زمن البعثة النبوية المطهرة لعب النساء دورا مرموقا في عملية رواية الأحاديث الشريفة، وتفسير الآيات الكريمة، وحضن السياسة بجدارة، والتجارة بجد، وتوخين طلب العلم فكان منهن سيدات العصور في ميادين معرفية شتى وحق لشوقي (١٨٦٨ - ١٩٣٢ م) أن يقول مباحيا:

وَخَضَارَةُ الْإِسْلَامِ تَنْتَبِهُنَّ  
طَبَقُ عَن مَكَانِ الْمَسْلِمَاتِ

والإعجاب بروائع التراث الإسلامي - حق لا ريب فيه - لا يعفي المنصف من بحث العراقيل والقيود وكشف فكر الجمود الذي حام حول حواء وبناتها.

التعامل مع التراث بأسلوب يفتقر إلى نقده وتفكيك عناصره، يقود للهروب إلى الماضي، والدخول في متاهات تبعدنا عن العصر. إن غياب الموقف النقدي من التراث، وشيوع فكر التمجيد، وطغيان الشاء والتبجيل، لكل ما يمت إلى الماضي، وعدم القدرة على إدراك التشوهات، والانتكاسات، في الموروث، نجم عنه انسداد الآفاق النقدية، وإحضار الماضي كما هو، وبالتالي العجز عن مواكبة متغيرات الحياة (الرفاعي، ٢٠٠٩م).

إن فئة من المتخصصين في الفكر الإسلامي يقررون أن "تقاليدنا تنطوي على حساسيات شديدة لأية مراجعات تتكلم عن آباء كُرست مشروعيتهم التاريخية؛ لأن ذلك - في نظر البعض - إساءة إلى أولئك الآباء وتقليل من شأنهم، وقد كُرست مشاعر ترى أنه لا فصل بين الرأي وقائله، فإذا انتقدت رأياً فكأنك سببت قائله" (العلواني، ٢٠٠٩م، الحجاز، ٢٠٠٩م، ص ١١).

من السهل أن نتحدث عن الاجتهاد وحق إبداء الرأي وأن كل متخصص يصيب ويخطئ ولكن ساعة التنفيذ تختل الموازين ويختار الحكيم عندما تكشف العصبية عن ساقها لا سيما إذا تعلق الأمر بالأنتى فقد تتحول حتى الحقوق إلى قيود، والحوار إلى إدانة، والاجتهاد إلى اتهام.

لا يرى الإسلام فرقا بين الرجل والمرأة في سيرهما التكاملي في الحياة فيما عدا اختياره الرجل لتحمل مسؤولية النبوة والرسالة (غزاوي، ٢٠٠٢م، ص ٨١). إن كثير مما يُعتقد اليوم أنه سلفية دينية هو في الحقيقة سلفية اجتماعية تلونت بالصبغة الدينية، وانتقت من التراث الديني ما يتوافق معها لتحجيم وتهميش المرأة (عباس، ٢٠٠٢م، ص ٣٠٣). إنهم يدرسون التراث المتغير بنوع من التعظيم والتمجيد لأنهم يريدون التوقع في الداخل ولا يريدون الخروج إلى الحياة (العراقي، ٢٠١٠م، ص ١٠). قال الألباني "فلا ينبغي للآباء أن يجرموا بناتهم من تعليمها، فلا فرق في هذا بين الذكور والإناث. ولا تصغ إلى من قال: ما للنساء وللكتابة فإن فيه هضمًا لحق النساء وتحقيرا لهن" (باختصار).

الأدب مع نصوص الوحي ومع شعائر الدين من أهم أساسيات البحث. ثمة فرق هام وكبير بين الدين الذي هو شرع الله وبين التدين الذي هو فهم الدين من قبل العلماء حسب البيئة والوقت وهو سعي بشري يصيب ويخطئ. إن نقد ومناقشة التراث البشري لا يعني المساس بالدين.

إن الذي صنع تاريخ المرأة عبر القرون هو طريقة تعامل أربعة أطراف معها: أ- تصورهما لنفسها. ب- تصورهما للرجل. ج- تصور الرجل لها. د. تصور الرجل لنفسه (سروش، ٢٠٠٨م، ص ٣١، حمود، ٢٠٠٨م، ص ٢٩٣). لقد حصل انحراف فكري حاد كرس سلطة الرجل وانحسر دور المرأة وأدى ذلك إلى تشوه معرفي عميق واضطراب في تصور المرأة لذاتها ولقدراتها.

من المؤكد أنه ثمة حاجة إلى دراسة التراث من منظور تربوي نقدي ليكشف درجات التحيز للرجل ضد المرأة من دون الحكم على الماضي بمعطيات اليوم ومعايير الزمن الحديث فكل تراث محدد سلفا بسياقاته الزمنية وخصوصياته الثقافية. من الضرورة بحال الأخذ بالاعتبار أن استنباط العبر من دروس الماضي لا يعني أبدا التقليل من قدر من سبق فلعل سبقه وفضله وظروفه الخاصة. قال جل ثناؤه "وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ" (الحشر: ١٠).

يضع البحث الراهن في عين الاعتبار أن المفكر ابن بيته وعصره، كما أن البحث الحالي يتحرك في إطار تبجيل وتقدير العلماء وإسهاماتهم بلا تقديس لأشخاصهم وبلا جمود على آرائهم وعليه فإن تراثنا

التربوي نطلق منه ونضيف إليه، ولا ننغلق فيه ولا تقتصر عليه مع الاستفادة من العلوم والمعارف والمناهج البحثية الحديثة.

### أسباب الانحراف

ثمة عوامل داخلية ساعدت في إقصاء المرأة عبر القرون من فضاء الحضارة ظهرت واشتدت معظمها بعد العصر الراشدي وهناك أسباب خارجية نشأت من الاحتكاك السلبي بالثقافات الأخرى. وإذا تتبعنا العوامل التي ساعدت على ضعف دور النساء الحضاري وتردّي أوضاعهن عموماً فإنّ بعض الباحثين يُشيرون إلى تأثير الفقه وواقع المرأة بالعادات الخاصة بتهميش المرأة. يقول محمد الغزالي في كتابه قضايا المرأة بين التقاليد الرّائدة والوافدة: مع اضمحلال الفكر الدّيني في الأعصار المتأخرة هبط المستوى الإنساني للمرأة في ميدان العلم والأدب بعد أن نمت مورثات اجتماعية خاطئة، ومرويات تُسيء للإسلام (ص ٧٠).

ولعل شيوخ الأحاديث النبوية الموضوعية التي تحمل في طياتها عقلية الوأد العاطفي والعقلي والاجتماعي للمرأة رسخ ما سبق. ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِهِ آدَابِ النِّسَاءِ "أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِقَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ مَا خَيْرُ النِّسَاءِ؟ قَالَتْ أَنْ لَا يَرَيْنَ الرَّجَالَ وَلَا يَرُونَهُنَّ فَقَالَ عَلِيُّ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي". وذكر الشرييني (٢٠٠٤م) الحديث التالي "لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة". قال بعض العلماء: لأنّ في إسكانهنّ الغرف تطلعاً إلى الرجال وليس في ذلك تحصين لهنّ ولا تستر، وذلك أهنّ لا يملكن أنفسهنّ حين يشرفن على الرجال فتحدث الفتنة، وكذلك تعليم الكتابة ربما كان سبباً للفتنة لأنّها قد تكتب لمن تهوى، والكتابة عين من العيون بما يبصر الشاهد الغائب، والخط إشارة اليد وفيها تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان، فهي أبلغ من اللسان فأحب صلى الله عليه وسلم أن يقطع عن المرأة أسباب الفتنة تحصيناً لها" (ج ٤، ٦٤٧). إن الإفراط في الخوف على المرأة والسعي إلى سترها من أسباب الخوف منها والشك فيها.

وكان الاتصال بالفكر النصراني دوره في انتقال عبارات ومعتقدات لا تليق بالفكر الإسلامي أبداً. ومن الغريب حقاً أن نجد في كثير من كتبنا عبارة "المرأة شر كلها". وفي تفسير القرطبي نقراً "وقيل لحواء: كما أدميت الشجرة فكذلك يصيبك الدم كل شهر وتحملين وتضعين كرها تشرفين به على الموت مراراً... وتكوني سفهية وقد كنت حليلة". وفي الدر المشور للسيوطي "أما أنت يا حواء كما أدميت الشجرة تدمين في كل هلال [شهر]". وهكذا ساهمت الثقافة الخارجية في تشكيل الفكر المسلم علماً بأن القرآن الكريم رفض فكرة خطيئة حواء جملة وتفصيلاً ولكنها للأسف تسللت لكتب التفسير وغيرها فاستقرت في أعماق الفكر عند فئة غير قليلة.

قال الشوكاني (٢٠٠٣م) قال ابن عباس: "قال الله لآدم: ما حملك على أن أكلت من الشجرة التي نهيتهك عنها؟ قال: يا رب زينت لي حواء، قال: فإني عاقبتها بأن لا تحمل إلا كرهاً، ولا تضع إلا كرهاً، وأدميتها في كل شهر مرتين" (ج ١، ص ٩٢). وإلى الآن تخرج علينا رسائل دكتوراه وكتب ذاتة الانتشار تحت إشراف مؤسسات دينية وجيهة لتؤكد أنه "لولا حواء لم تكن أنثى زوجها الدهر" (رواه البخاري)، وأن فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم وهذا رأي يذهب إليه عدد كبير جداً من علمائنا قديماً وحديثاً<sup>١</sup>.

قال ابن كثير في البداية والنهاية "وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم، وهي التي حدثه على أكلها". جاء في دراسة لعمر الأشقر (٢٠٠٧ م) "على الرجل أن يحذر من زوجته من أن تحرف مساره، فقد أكل آدم من الشجرة بمشورة حواء" (ص ٢٨) ودليله أن الحديث الصحيح يقول أن آدم في آخر لحظة من حياته قال لحواء وهو يبعتها عنه "إليك إليك عني، فإني إنما أوتيت من قبلك، خلي بيني وبين ملائكة ربي تبارك وتعالى، فقبضوه". وقدم محمد عبدالرحيم (٢٠٠٥ م) القصة نفسها لقرائه (ص ٢٤) إقراراً بها وغرساً لها. فهل نتحمل أوزار أمننا إن كانت فعلاً فعلت ما فعلت؟ أليست كل نفس بما كسبت رهينة إذا افترضنا جدلاً صحة القصة؟ إذا كانت الرؤية الوجودية (الانتولوجي) على هذا النحو فالمعرفة (الإبستمولوجي) والفكر في هذا الإطار الفلسفي هل سيكون صحيحاً؟ وهل القيم (الأكسيولوجي) المتفرعة مما سبق هي قيم عادلة نربي عليها الناشئة ونبشر بها الأمم قاطبة؟ إذا كانت النظرية فيها بذور الشقاء والاتهام والعقدة فهل التطبيق العملي سيكون رحمة وعدالة؟ هل هذه عقيدة نعيش بها أم عقدة نؤمن بها؟.

كانت حواء سبباً في هبوط آدم من الجنة لأنها تعاني من نقص في عقلها وضعف في روحها (قنبري)، (٢٠٠٨م، ص ٥٦)، فهل المؤسسات الأكاديمية والدينية (السنية والشيعية) تتوخى تنمية الفكر النقدي أم أن التكرار سيد القرار؟ وهكذا بكل بساطة تتحمل حواء وحدها مسؤولية الخروج من الجنة فهل حقاً قدمنا معاني البرّ لأمننا حواء بهذا التصور القاصر؟ أهكذا يكون البرّ بالوالدين؟

منذ عهد مبكر من تاريخنا بدت محاولات تغاير الفهم النقي للوحي الذي حرر المرأة والرجل معاً. ولقد تصدت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للعبارات القادحة التي تقلل من قدر المرأة. "عَنْ عَائِشَةَ ذُكِرَ عِنْدَهَا مَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ فَقَالَتْ شَبَّهْتُمُونَا [عَدَلْتُمُونَا] بِالْحُمْرِ وَالْكِلابِ" (رواه الشيخان). "كانت عائشة رضي الله عنها أكثر الصحابة انتباهاً إلى ما حصل في متون بعض

<sup>١</sup> الرشيد، ١٤٢٧ هـ، ص ٩٧، الاستانبولي، ٢٠٠٦ م، ص ٢٨٨، الشريجي، ٢٠٠٢ م، ج ١، ص ٥٩١، ٥٩٣، عثمان، ٢٠٠٩ م، ص

الأحاديث من تعبير نتيجة وهم أو خطأ... لذلك استدركت على عدد من الصحابة حتى لا تترتب عن تلك الأحاديث أحكام فقهية قد تنعكس سلبي على الأفراد أو المجتمع" (رامي، ٢٠٠٥م).

بدأت التصورات الخاطئة في قضايا المرأة تتسرب للفكر الإسلامي منذ عصر مبكر. ورد في صحيح مسلم "أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ: قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: "لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمْ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ إِلَيْهَا". قَالَ: فَقَالَ بِلَالُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ. قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا، مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتَقُولُ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ." تقول هبة رءوف أما الذين لا يرون للمرأة حقاً سياسياً للمرأة "والذين في الغالب لهم مفهوم ضيق لحقوق المرأة هؤلاء تاريخياً هم حزب: والله لنمنعنهم... هذا الحزب يتمسك بتقاليد جاهلية، ولا يجب أن يرى المرأة تستمتع بمواطنة متكافئة".

ولو صرفنا وجوهنا نحو أعلام الفكر الإسلامي نتلمس مواقفهم إزاء المرأة فنسجد تبايناً بينهم وأشار قلة منهم لمعوقات تربية المرأة. أعطى محي الدين بن عربي -عند فئة من الباحثين- المرأة مكانة مرموقة ورفض إقصاء النساء واعتقد أنه ما من صفة للرجال إلا للنساء فيها مشرب فلا مجال للتفضيل والتمييز (براضة، ٢٠٠٨م، ص ١٦٢، ١٤٨، ميرزائي، ٢٠٠٨م، ٤٨)، وانتبه الجاحظ وابن رشد للحالة المزرية للمرأة في عصرهما (الجعفري، ٢٠١٠م، ص ٢٥٢، ٢٦٤، بدوي، ٢٠٠٩م، ص ٦٣) ولا زال الأمر مما يكشف عن تربية عربية قائمة على إعادة إنتاج للنظام الاجتماعي (الحجلوي، ٢٠٠٩م، ص ١١٤) الذي يتسم بالهيمنة الذكورية. يعتقد البعض أن ابن رشد ظلم المرأة (حسن، ١٩٨٧م، ص ٩٧٤) ولعل الصواب هو خلاف ذلك تماماً.

وربما يكون الفيلسوف ابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ/ ١١٢٦ - ١١٩٨م) قبل ثمانية قرون أول من تنبه من الفلاسفة لتردي وضع المرأة المسلمة لأنه يرجع سبب تخلف المرأة إلى الأوضاع الاجتماعية التي قضت بأن يُنظر إليها وكأنها خلقت فقط للولادة وهذا سبب من أسباب تخلف المجتمع وسبب البؤس الذي حطم المدن الإسلامية من وجهة نظره (الحيدري، ٢٠٠٣م، ص ٢٩٦ - ٢٩٧، انظر أيضاً توفيق، ٢٠٠٢م، الزهراني، ٢٠٠٧م، فراج، ٢٠٠٩م، ص ٢٥). وهكذا لاحظ ابن رشد خضوع النساء ودوره في غروب الحضارة. يعتقد بعض الباحثين أن الفلاسفة أصحاب توجه أكثر هدوءاً واعتدالاً، لو قارناه بالقناعات المتوافرة في الكتب الفقهية (ميرزائي، ٢٠٠٨م، ٤٨) وهذا الرأي النسبي يحتاج لمزيد من الدراسات المعمقة.

لقد ساهمت كتابات الغزالي في نشر مفاهيم غير قليلة تضع القيود والمعوقات في وجه حرية المرأة مما صيغ جوانب التربية والأخلاق والسلوك -إلى يومنا هذا- بصيغة متشددة نحو المرأة وتحذ من إمكاناتها ودورها المجتمعي. قال في تحذيره من شر وكيد معشر النساء "وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق

وركافة العقل". "فالقول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزها لا يكثر صعودها واطلاعها، قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم إلا في حال يوجب الدخول. فإن خرجت بإذنه فمختفية في هيئة رثة تطلب المواضيع الخالية دون الشوارع والأسواق محتزة من أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لا تتعرف إلى صديق بعلمها في حاجاتها بل تنتكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه". لقد فرض الغزالي قيوداً متممة يراها من صميم الأدب الإسلامي يلزم المرأة ملازمة منزلها (الكبيسي وآخرون، ٢٠٠١م، ص ٥٦). وهكذا يتم شحذ الذاكرة الجمعية بنصائح تعليمية لتبرير النظام السلطوي السائد (قرامي، ٢٠٠٧م، ٦٣٧).

ولا شك أن القيود السابقة وغيرها هي عقوبات ألحقت الأذى بعقل المرأة وهويتها ورسالتها وثقافتها وهي نابعة من تصورات ترسخ أسس إخضاع المرأة والتسليم لسلطان الذكر. حشد الغزالي عبارات تراثية كان الأجداد الابتعاد عنها من مثل "شاوروهنّ وخالفوهنّ"، "لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد" و "سوداء ولود خير من حسناء لا تلد". "وأربعة من الصناعات موسومة عند الناس بضعف الرأي: الحاكاة، والقطنون، والمغازليون [العاملون في غزل الصوف والقطن]، والمعلمون. ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان، ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل، كما أن مخالطة العقلاء تزيد في العقل". "ويجب على الرجال مُدارة النساء، لسبب نقص عقولهن، وبسبب نقص عقولهن، لا يجوز لأحد أن يتدبر بأرائهن، ولا يلتفت إلى أقوالهن، ومن اعتمد على آرائهن، والتفت إلى أقوالهن، ودبر نفسه بمشورتهنّ خسِر". وهذا الرأي يتفق فيه الغزالي مع رأي أستاذه الجويني إمام الحرمين القائل "لا يُعلم امرأة أشارت برأي فأصابته إلا أم سلمة" وهذا في ظنهم يدل على عدم مشاوراة المرأة. وإلى يوم الناس هذا يأخذ هذا المنطق طريقه لعقول وأقلام الناشطين في الحقل الإسلامي (الراشد، ٢٠٠٢م، ص ٦٦).

هناك الكثير من العبارات الضعيفة نُسبت لأهل الفضل وشاعت بين الناس رغم محاولة بعض العلماء تفنيدها والحق أنها شوهت نظرة المجتمع للمرأة ومن تلك العبارات الشائعة: وخالفوا النساء فإن في خلافهن بركة، لا يفعلن أحدكم أمراً حتى يستشير فإن لم يجد من يستشير فليستشر امرأة ثم ليخالفها فإن في خلافها البركة، وعودوا النساء: لا، فإنها ضعيفة إن أطعتها أهلكتك، وطاعة النساء ندامة، وهلك الرجال حين أطاعت النساء. هذه عبارات صريحة في قدح عقل المرأة أما اللمز والغمز فمبثوث على نطاق أوسع في موروثاتنا.

من هنا نجد أن الأمثال الشعبية، وآراء الفقهاء والمفسرين والمفكرين والمربين، والعادات والتقاليد، والأحاديث الموضوعية والضعيفة، وسيكولوجية الخوف عليها والإسرائيليات [القصص المروية عن بني إسرائيل] وإتباع النص الحرفي للنصوص المقدسة وعدم الالتفات للمقاصد العامة، والتسليم بأقوال



السلف، من أسباب نشوء الفكر التسلطي إزاء المرأة وتنامي ثقافة لا تقلل من شأن الأنتى فحسب، بل تحصر دورها في الإنجاب وإمتاع الزوج وتغفل عن حقوقها الإنسانية.

### التقليل من قدر شخصية المرأة

يرى ابن كثير في تفسيره أن المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلبي، منذ تكون طفلة، وإذا خاصمت فهي عاجزة عيية؛ ضعيفة. فالأنتى ناقصة الظاهر والباطن في الصورة والمعنى، فيكمل نقص مظاهرها وصورتها بلبس الحلبي، ليجبر ما فيها من نقص. وأما نقص معناها فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار. وفي تراثنا نجد وصية من صنع الحكماء والأولياء تتكرر في مواضع كثيرة وهي "اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ شِرَارِ النِّسَاءِ وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ". ذكر القرطبي قصصا وعبارات تشرح تلك القاعدة وتكشف عن قلة عقل المرأة وذلك في كتابه *بجحة المجالس وأنس المجالس وشحن الزاهن والمهاجس*. قال أحد العلماء إني أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان كما في كشف الخفاء للعجلوني وذكر أيضا عن العلماء "لا تطيعوا النساء أمرا... وجدناهن لا دين لهن في خلواتهن، ولا ورع لهن عند شهواتهن، اللذة بمن يسيرة، والحيرة بمن كثيرة، فأما صوالهن ففاجرات، وأما طوالهن فعاشرات، وأما المعصومات فهن معدومات، ومن ثلاث خصال من اليهود: يتظلمن وهن الظالمات، ويخلفن وهن كاذبات، ويتمنعن وهن راغبات". وتتكرر النصيحة السابقة بعبارات متشابهة وذلك في تفسير ابن عجيبة "لا تطيعوا للنساء أمرا، ولا تدعوهن يدبرن أمر عيش، فإنهن إن تُركن وما يُردن أفسدن الملك، وعصين المالك...". ويتفق القرطبي مع ما سبق ويضيف في كتابه *التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة* "قال علماءنا: إنما كان النساء أقل ساكني الجنة لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن... فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها ولميلهن إلى الدنيا والتزين بها ولها... فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن صارفات عنها لغيرهن سريعات الانخداع لداعيهن من المعرضين عن الدين، عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الأخرى وأعمالها من المتقين... تحفظوا عباد الله منهن وتجنبوا عنهن ولا تثقوا بودهن ولا عهدهن ففي نقصان عقولهن ودينهن ما يغني عن الإطباب فيهن".

وعن تسفيه رأي النساء تكثر العبارات لتكشف عن معتقدات سلبية راسخة عند العلماء والعامّة. قال الثعالبي في *ثمار القلوب في المضاف والمنسوب* "رأي النساء: يضرب به المثل في الوهن والخطأ". ورد في *حاشية الصاوي لأحمد الصاوي* "إنما جعل النظر للحاكم لضعف رأي النساء بخلاف الرجال". ورد في *جامع الأسانيد والمراسيل للسيوطي* "وأما عائشة رضي الله عنها فأدركها رأي النساء... يغلي في جوفها كالمرجل". وفي معجم الأدباء للحموي:

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما  
أما النساء فإنهن عواهر  
رأي النساء وإمارة الصبيان  
وأحو الصبا يجري بكل عنان

وفي رواية أخرى "أما النساء فميلهنّ إلى الهوى". وفي المثل "صلاح رأي النساء فساد، ونفاقه كساد". قال العز بن عبد السلام في قواعد الأحكام في مصالح الأنام "ولا يليقُ بالرجالِ الكاملةُ أديانُهُمْ وَعُقُوبُهُمْ أَنْ تُحْكَمَ عَلَيْهِمُ النِّسَاءُ لِنُقْصَانِ عُقُولِهِنَّ وَأَدْيَانِهِنَّ وَفِي ذَلِكَ كَسْرٌ لِنَحْوَةِ الرِّجَالِ مَعَ غَلْبَةِ الْمَقَاسِدِ فِيمَا يَحْكُمُ بِهِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ". ولهذا قال كثير من العلماء "المرأة ناقصة عقل ودين لم تؤهل أن تبدي رأيها في الأمور الهامة ولا أن تتعلم كل ما يتعلمه الرجال" (المنيس، ١٩٩٧ م، ص ٢٧٩). وذكر الزمخشري في أساس البلاغة "وخير النساء البلهاء الخجول" (ص ٣١). وقال أبو تمام:

خلفنا رجالاً للتجلد والأسى وتلك الغواني للبكا والمآتم

ولهذا نهى الغزالي المتعلم من الصراخ إذا ضربه المعلم لأن ذلك من فعل النسوان والمماليك. إن تلك الأقوال السلبية وغيرها أكثر عن أداء المرأة الضعيف ورأيها السخيف تبني شخصية نسائية قلقة لا تخدم أغراض التربية أبداً فالتربية السليمة تغرس الثقة بالنفس وأن الإنسان خلق مكرماً في أحسن تقويم. تجذ الأقوال السابقة صداها على شبكات الانترنت ولها حضورها القوي بعد أن كانت حبيسة المكتبة ولأن للتراث هالة وقوة فالناس تتناقل هذه العبارات كأنها حقائق دينية ثابتة فما كتبه السابقون - رغم مجانبته الصواب أحياناً- يوجه ثقافتنا، ويحدد عاداتنا، ويجمد عقولنا.

"قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ اسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شِرَارِ النِّسَاءِ، وَكُنْ مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَدَرٍ فَإِنَّهُنَّ لَا يُسَارِعْنَ إِلَى خَيْرٍ، بَلْ هُنَّ إِلَى الشَّرِّ أَسْرَعُ". ونحو هذا الكلام نُسب للإمام علي رضي الله عنه في نهج البلاغة ولسيدنا عمر رضي الله عنه في أخبار النساء لابن الجوزي. ومن الوصايا المأثورة قال داود سليمان عليهما الصلاة والسلام "يا بني: امش خلف الأسد والأسود، ولا تمش خلف امرأة" (الغزالي في الإحياء، الثعالبي في التمثيل والمحاضرة، الخباز، ٢٠٠٩ م، ص ١٠٥).

وفي تراثنا "أما في هذه الأزمنة فنعود بالله من الشيطان، ومن النسوان" (ابن علان الصديقي). وذكر العاملي في الكشكول والنسفي في تفسيره والدميري في حياة الحيوان الكبرى "عن بعض العلماء [الحكماء] أنه قال أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان". قال القرطبي في تفسيره "فتنة النساء أشد من جميع الأشياء. ومن الأمثلة العربية "آمن للشيطان ولا تأمن للنسوان": البنت لا تأمنها من بيتها لبيت خالها" (بركات، ٢٠٠٩ م، ص ٢٤٤). ويقال: في النساء فتنتان، وفي الأولاد فتنة واحدة.. وفي تعلمهن الكتاب هذا المعنى من الفتنة وأشد. إن تأسيس الوعي على هذه التصورات الواهية والمقولات القاسية من أسباب تدني موقع المرأة وانتشار الشك بها مما يؤدي إلى غيرة مرضية وعقلية جمعية مخيفة.

ويتفرع من نقص عقل المرأة - عند أولئك النفر - عدم الاعتماد عليها والخوف من الثقة فيها، والبعد عن مشاورتها والتحفظ على تعليمها. إن الرؤية الخاطئة لطبيعة المرأة قاد الكثير من البشر عبر العصور لسوء التعامل معها. ورد "عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: إياك ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلى أفن... وليس لمن درجة واحدة في الفضل". وقالوا "عقل المرأة في جمالها، وجمال الرجل في عقله". وذكر المناوي في فيض القدير "قال بعض الحكماء: إياك ومخالطة النساء فإن لحظات [نظرات] المرأة سهم ولفظها [كلامها] سم". وقالوا "ينبغي للرجل أن يكون مع المرأة كما يكون أهل المجنون مع المجنون، يهتمون منه كل أذى ومكروه". قال شقيق: اشتريت بطيخة لأمي، فلما ذاقتها سخطت. فقلت: يا أمي، على من ترددين القضاء ومن تلومين، أحارثها أم مشتريها أم خالقها؟ فأما حارثها ومشتريها فما لهما ذنب، فلا أراك تلومين إلا خالقها" (أبو حيان التوحيدي، ج ٣، ص ٣٦٠). وفي الأثر "لَوْلَا النِّسَاءُ لَعَبِدَ اللَّهُ حَقًّا حَقًّا". وفي فيض القدير للمناوي " (لولا المرأة لدخل الرجل الجنة) أي مع السابقين الأولين لأن المرأة إذا لم يمنعها الصلاح الذي ليس من جبلتها كانت عين المفسدة فلا تأمر زوجها إلا بما يبعده عن الجنة ويقربه إلى النار ولا تحته إلا على فساد... وقال أحدهم: ما دخل داري شر قط فقال حكيم: ومن أين دخلت امرأتك" (باختصار). وجاء في الأثر "وإذا كان الشيطان يخاف منك [يا عمر] فما بالك بامرأة ضعيفة العقل" (السيرة الحلبية للخفاجي).

وتمتد الإشكالية إلى رسالة المرأة في الحياة فهل خلقت لتعيش تابعة للرجل كما اعتقد العقاد وغيره من المفكرين؟ اعتقد كثير من علمائنا أن المرأة خلقت لخدمة الرجل وهذه نزعة ذكورية (ملكيان، ٢٠٠٨م، ص ٣٨). الكثير من العبارات تأخذ مسارها إلى مسامعنا وكتاباتنا دون نقد أو أدنى تدبر لمضامينها مع أنها تستند إلى أسس واهية. ويروي القرطبي في تفسيره عن عمر رضي الله عنه قال:

إن النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

وقال بعضهم يريد مدح المرأة:

إنّ النِّسَاءَ رِيَّاحِينَ خَلَقْنَ لَنَا فَكَلَّنَا يَشْتَهِي شَمَّ الرِّيَّاحِينَ

خلقن للرجل أم لرسالة أكبر، ورحلة أعظم، وأمانة أكرم؟ إنهن بشر لا شياطين ولا حتى رياحين للرجال فهي ليست سلعة ولا مادة بلا روح... بل خلقن يقينا مثل الرجل شقائق لعبادة الواحد الديان ولتعمير الحياة جنبا إلى جنب. وخلقن مودة ورحمة لبعضهم البعض فعلاقة الرجل بالمرأة ليست قبض وبسط، وسمع وطاعة، وسلطة علوية وأخرى مقهورة.

كتب الأصفهاني في كتابه المرموق محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء "إذا وصفت المرأة بالعقل فهي غير بعيدة من الجهل، وفي الحديث: النساء شر كلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن. ورأى سقراط امرأة تحمل ناراً فقال: نار تحمل ناراً والحامل شر من المحمول. وقيل له: أي السباع شر؟ قال: المرأة! وقيل: المرأة إذا أبغضتك آذتك، وإذا أحبتك خانتك فحبها أذى وبغضها داء" (باختصار). ومن العبارات التي تقلل من شأن المرأة وتتسق مع رؤية التهميش والتحقيم للأنثى قولهم في ضرب الطفل "لا تدع أم صبيك تضره فإنه أعقل منها وإن كان طفلاً". وفي سبيل الحصول على الذكور قال الزيادي: كنت رجلاً مثنائاً، فقبل لي: أكثر من الاستغفار وقت الجماع، واستغفر الله عند الجماع، ففعلت فولد لي بضعة عشر ولداً ذكراً" (القرطبي، ١٩٩٩م). وفي لسان العرب "الإناث كل شيء ليس فيه روح مثل الخشبة والحجارة". وفي الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي وأيضاً في تفسير الألوسي "الأنثى كل ميت ليس فيه روح مثل الخشبة اليابسة والحجر اليابس" (محمود، ٢٠٠٢م، ص ١٧٣).

وقال بعض الفقهاء أن النساء في الواقع حيوانات بصورة إنسان ليرغب في نكاحهن (عباس، ٢٠٠٢م، ٢٩٧). وقال الفخر الرازي في تفسيره "النساء خلقن كخلق الدواب والنبات وغير ذلك من المنافع... وهذا يقتضي ألا تكون مخلوقة للعبادة والتكليف فنقول خلق النساء من النعم علينا وخلقهن لنا، وتكليفهن لإتمام النعمة علينا لا لتوجيه التكليف نحوهن مثل توجيهه إلينا، وذلك من حيث النقل والحكم والمعنى، أما النقل فهذا وغيره، وأما الحكم فلأن المرأة لم تكلف بتكاليف كثيرة كما كلف الرجل بها، وأما المعنى فلأن المرأة ضعيفة الخلق سخيصة فشاجت الصبي، لكن الصبي لم يكلف فكان يناسب ألا تؤهل المرأة للتكليف، لكن النعمة علينا ما كانت لتتم إلا بتكليفهن لتخاف كل واحدة منهن العذاب فتتفاد للزوج وتمتنع عن المحرم، ولولا ذلك لظهر الفساد" (تفسير سورة الروم، الآية ٢١، وأيضاً: العلواني، ٢٠٠٣م، ص ٢١٥).

وفي افتتاحية مجلة الحياة الطبية (العدد ١٨ - السنة ٥ - خريف ٢٠٠٥م) نقرأ "يرى صدر الدين الشيرازي المعروف بملا صدرا أن المرأة يمكن تصنيفها ضمن دائرة الحيوانات بشكل أو بآخر، ويعلق ملا هادي السبزواري على هذه الفكرة بقوله "وكساهن (الله) صورة الإنسان لئلا يشتمز (الرجل) عن صحبتهم ويرغب في نكاحهن" (ص ٦).

لم تحظ المرأة في منطقة الخليج العربي قديماً إلا بقدر محدود من التعليم ولم تشارك المشاركة الكاملة في الحياة (الزيدي، ١٩٩٨م، ص ١٥). ذكر يوسف العبدالله (٢٠٠٣م) في كتابه تاريخ التعليم في الخليج العربي (١٩١٣-١٩٧١م) أن تاجر اللؤلؤ صاحب السفينة قد يرغم زوجة الغواص المتوفى على الزواج منه حتى يسقط حقه في المطالبة بتسديد دين زوجها. وفي بعض الحالات يتم الزواج فتتحول الزوجة إلى خادمة في بيت السيد، ويتحول الأبناء إلى أجراء وغواصين على سفينة السيد" (ص ٥١-٥٢). قال

معلم الكويت الأول يوسف القناعي وهو يستنكر مكانة المرأة عند المسلمين في فترة تخلفهم "ليس للمرأة قيمة عند الرجال... فهي عندهم من سقط المتاع، إذا ذكر اسمها قال المتكلم لمخاطبه أكرمك الله". وذكر أن سبب تدني مستواها هو حرمانها من التعليم ومجالس الفكر، والأسفار، والاطلاع على الكتب والمجلات.

ورد في تاج العروس للزبيدي "والْحِدَاءُ الرَّوْحَةُ لِأَنَّهَا مَوْطُوءَةٌ كَالنَّعْلِ". وفي لسان العرب لابن منظور أنه يقال لزوجة الرجل هي نَعْلُهُ وَنَعْلَتُهُ... والعرب تكني عن المرأة بالنَّعْلِ". وكذلك ذكر البُستاني في كتابه محيط المحيط. وفي كتاب تفسير الأحلام المنسوب لابن سيرين "ولبس الخف الساذج يدل على التزويج بيكر فإن كان تحت قدمه متخرقا دل على التزوج بثيب...". ويذكر كلاما طويلا في هذا المجال عن الإناث أكثر من الرجال. قال القرطبي في تفسيره "والعرب تكني عن المرأة بالنعجة والشاة لما هي عليه من السكون وضعف الجانب. وقد يكنى عنها بالبقرة والحجرة والناقعة، لأن الكل مركوب".

وفي كتاب الإتيقان في علوم القرآن، للسيوطي أن "الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في مالأ ولا يتدلون أسماءهن بل يكونون عن الزوجة بالفرش والعيال ونحو ذلك فإذا ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر" (ص ١٢٩). ويقول الأديب الشامي علي الطنطاوي مستنكرا: قال لي صديق أنكبت عن زوجك وتقول إنها من أعقل النساء وأفضلهن؟ هل سمعت أن أحداً كتب عن زوجته؟ إن العرب كانوا يتحاشون التصريح بذكرها، فيكنون عنها بالشاة أو النعجة استحياء وتعففاً. لقد منع الحياء جريراً من رثاء زوجه صراحة، وزيارة قبرها جهاراً. ومالك بن الربيع لما عد من ييكي عليه من النساء قال:

فمنهنَّ أمِّي وابتهاها وخالتي، وجاريةٌ أُخْرِي تَهَيِّجُ البواكيا

فلم يقل وامرأتي. وكذلك العهد بآبائنا ومشايخنا. لم يكن يقول أحد منهم: زوجتي؛ بل كان يقول: أهل البيت وأم الأولاد، والجماعة، والأسرة، وأمثال هذه الكنايات. فهل تترك هذا كله، وتدع ما يعرف الناس، وتأتي ما ينكرون؟ قلت: نعم! قال: أتقول نعم بعد هذا كله؟<sup>١</sup>

وها هو الشاعر العباسي البُحْثَرِيُّ يقول "موت البنات لا يستحق البكاء" وقال:

وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ لَا شَكَّ فِيهِ بَقَاءُ الْبَنَاتِ وَمَوْتُ الْبَنَاتِ  
لِقَوْلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُمْ دَفْنُ الْبَنَاتِ مِنَ الْمَكْرَمَاتِ

وقريب من ذلك:

<sup>١</sup> انظر (حسين، ٢٠٠٧م، ص ١٦٨). وأيضا: <http://www.amrkhaleed.net/articles/articles2767.html>

القبر أخفى ستره للنبات      ودفنها يُروى من المكرمات

وقال الشاغوري:

حَلَفْتُ لِي هِنْدٌ فَحَانَتْ يَمِينِي      لَيْسَ غَاذِرُ النِّسَاءِ بِالْمَأْمُونِ  
كَيْفَ نَرَجُو الْوَفَاءَ مِنْ نَاقِضَاتٍ      عَهْدَنَا نَاقِضَاتِ عَقْلِ وَدِينِ  
إِنَّمَا الصِّدْقُ شِيمَةُ الرَّجُلِ الْخُرِّ      النَّقِي السَّبْرُ النَّقِي الْأَمِينِ

وقال السيوطي في نظم العقيان في أعيان الأعيان:

النساء ناقصات عقل ودين      ما رأينا لهن رأياً سنيا

وقال المعري وهو ينهى المرأة عن الكتابة وحمل القلم:

فحمل مغازل التَّسْوَانِ أُولَى،      بهنّ، من اليراع مقلّمات

واليوم يتم الاستشهاد بهذا البيت كما يفعل أديب اللجمي مع زملائه في قاموسهم المحيط دون التنبيه إلى معناه المضطرب.

وامتدادا لما سبق نجد في التراث عبارات صادمة يصعب تصديقها ويحار المرء منها ولكن يتناقلها لفيف من العلماء ومن ذلك قولهم "النساء أسفّة السفهاء"<sup>1</sup> وهذه الآراء هي آراء طائفة من السلف الصالح وليست آراء شاذة وهي معتقدات راجت في كتب العلم وتم تأصيلها على مر القرون ومعظمها تستند إلى ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما. ورد في تفسير البغوي "اختلفوا في هؤلاء السفهاء فقال قوم هم النساء وقال الضحاك النساء من أسفه السفهاء وقال مجاهد نحى الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم وهن سفهاء سواء كن أزواجا أو بنات أو أمهات". وفي تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن شرح السفهاء "فقال عامة أهل التأويل: هم النساء والصبيان لضعف آرائهم، وقلة معرفتهم بمواضع المصالح والمضار التي تصرف إليها الأموال". وفي لسان العرب لابن منظور "وسميت سفية لضعف عقلها، ولأنها لا تُحسِنُ سياسة ما لها" (انظر أيضا ابن سيده في كتابه المحكم والمحيط الأعظم، ص ٦٦٤). وقيل عن السفهاء: بلغنا أنهم النساء والصبيان الصغار لأنهم جهال بموضع النفقة. وعند

<sup>1</sup> (ابن سيده، ص ٦٦٤، ابن عساکر، ص ٣٧٣٥، ابن منظور، ص ٢٦٦٣، المتقي الهندي، ص ٢٥١٥، الخباز، ٢٠٠٩م، ص ٦٣).

الخصائص أن المرأة من أسفه السفهاء ... وإنما سموا سفهاء لخفة عقولهم ونقصان تميزهم عن القيام بحفظ المال.

وتأييدا لرأي بعض المفسرين يقول مصطفي العدوي "فليكن تعامل الرجل مع المرأة لا يؤاخذها بكل خطأ يصدر منها بل إن أخطأت عشرة أخطاء مثلاً أخذها بثلاثة أو أربعة أو خمسة وترك المؤاخذة على الباقي، أما إذا أخذها بالعشرة أخطاء فقد جعل عقله كعقلها وحكم على نفسه بأنه رجل ناقص العقل سفیه". وقال ابن الجوزي في *صيد الخاطر* في وصيته للرجل: "وليحفظ نفسه بالهيبه من الانحراف مع الزوجه، ولا يطلعها على ماله، فإنها سفیهه تطلب كثرة الإنفاق" (ص ٨١).

ورد في تفسير الطبري "أمر الله بهذا المال أن يخزن فيحسن خزانته، ولا يملكه المرأة السفیهه والغلام السفیهه". وهناك شواهد تراثية كثيرة تتحدث عن نقص عقل المرأة بمعنى عدم استشارتها في النوازل لأنها فاقدة للعقل السليم أما ابن رشد فيرى أن النساء يمكنهن أن يصبحن حكيما في الفلسفة وحاكمات في السياسة. رافقت كلمة السفاهة بنات حواء حتى تكاثرت في كتب التفسير وشرح الأحاديث فضلا عن كتب الأدب والتهديب والتربية.

ولقد عرض ابن حزم في كتابه *المحلى* هذا القول ثم عارضه (ص ١١٦٠) وتوصل إلى أنه "لم يأت قرآن، ولا سنة، بأنهن سفهاء، بل قد ذكرهن الله تعالى مع الرجال في أعمال البر". كان الغزالي كما يقول الزهراني (٢٠٠٧م) "يؤول آيات وأحاديث كثيرة لتبرير التحيزات ضد المرأة مثله مثل كل الفقهاء التقليديين ... وقد خالفهم ابن حزم وابن رشد في هذا الاتجاه، لكن دونما تأثير يذكر لخطاباتهم العقلانية المفعمة بالمعاني الإنسانية بالأمس واليوم". واليوم يستمر السجال حيث قام بعض العلماء بالرد على ابن حزم فالمرأة من أسفه السفهاء كما تدل آثار السلف الصالح والأدلة على سفاهة عقولهن كثيرة (عثمان، ٢٠٠٨م، ص ٣٧، ٤٨). وهكذا كان النقاش ولا زال في كتب التفسير واللغة العربية والفقهاء حول هل حقا النساء سفهاء أم أسفه السفهاء؟ ومثل ذلك أو أكثر جرى في هل تتعلم القراءة والكتابة وإلى أي مدى تتعلم وماذا تتعلم؟ نقاش طويل في حقوق إنسانية من المفترض أنها مسلمة عصرية، وكفى الله المؤمنين شر الجدال، وكثرة السؤال، والقيل والقال!

ويترتب على كل ما سبق سلوكيات عملية وأخلاقيات اجتماعية من مثل البعد عن الإكثار من الجلوس مع النساء ففي الوصايا العربية للمعلمين وصية بتجنيب الصبي محادثة النساء، "وجنبهم محادثة النساء" (المرزباني، المغراوي، ٢٠٠٩م، ص ٥٤٦) وفي رواية أخرى "وامنعهم من محادثة النساء".

وفي *زاد المعاد* لابن قيم الجوزية: "ضعفاء العقول، كالسفهاء، والجهال، والنساء، وأهل البوادي". وفي كتابه *الكلام على مسألة السماع* يصف النساء والأطفال بضعفاء العقول (٢٠٠٨م، ص ٢٠٠٨). وقال ابن الجوزية في *إعلام الموقعين*: "المرأة ضعيفة العقل قليلة الضبط لما تحفظه. وقد فضل الله الرجال

عَلَى النِّسَاءِ فِي الْعُقُولِ وَالْفَهْمِ وَالْحِفْظِ وَالتَّمْيِيزِ". وفي التربية الجنسية يرى ابن القيم أن مفهوم القوامة<sup>١</sup> يمتد إلى فراش الزوجية حيث يقول "وأحسن أشكال الجماع أن ... وهذا من تمام قوامية الرجل على المرأة، كما قال تعالى: "الرجال قوامون على النساء". مثل هذا لكلام يُقدم للناس اليوم كأداب للنكاح وهي في حقيقتها عادات آمن بها بعض العلماء وربطوها بالآيات.

وفي كتاب الحيوان للجاحظ "وأوّل خِصالِ حَوَاءِ التي عُوقبت بها وَجَعِ الافتضاض، ثم الطلق، ثم النَّزْع، ثم بقناع الرَّأس، وما يصيبُ الوَحْمَى والنفساء من المكروه، والقَصْرُ في البيوت، والحيض، وأنَّ الرَّجَالَ هم القَوَامُونَ عليهنَّ، أن تكونَ عِنْدَ الجماع هي الأسفل". وكانوا قبل الإسلام يؤمنون بما يتفق مع هذه الأفكار حيث أن إتيانَ المرأةِ وظَهْرُها إلى السماءِ كان حراماً عندهم (قرامي، ٢٠٠٧م، ٦٨٣). لأنَّ الله تعالى شَرَّفَ الذَّكَرَ على الأنثى فإنه سبحانه فضل الرجل بيولوجياً لأداء الجنس ... وليكون سبباً للتناسل كما يرى ابن الجوزي في كتابه تلبس إبليس. وكان بعضهم ينهى بناته أن ينمن مستلقيات فقال: لا يزال الشيطان مطلاً على إحداكن إذا كنت مستلقية يطعم فيها"<sup>٢</sup>.

ورد في الموسوعة الفقهية "اتَّفَقَ الفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ حَلْقَ العَانَةِ سُنَّةٌ، وَيَرَى الشَّافِعِيُّ عَلَى أَصَحِّ القَوْلَيْنِ وُجُوبَ حَلْقِ العَانَةِ عَلَى الرَّوْحَةِ إِذَا أَمَرَهَا رُوْحُهَا بِذَلِكَ". ويرى البهوتي أن الزوج لا يلزمه كفن امرأته ولا مؤنة تجهيزها لأنَّ النفقة والكسوة وجبا في النكاح للتمكين من الاستمتاع (كشاف الفناع عن متن الإقناع، ج ١، ص ٥٤٩، الحشر، ٢٠٠٧م، ص ٧٥).

وقال ابن قيم الجوزية "إن السيد قاهر لمملوكه، حاكم عليه، مالك له، والزوج قاهر لزوجته، حاكم عليها، وهي تحت سلطانه وحكمه شبه الأسير". يقول بعض أهل الخليج عن عقد الزواج "ملكه" (ملحة) أي ملكها<sup>٣</sup>! ومن العادات أيضاً أن يقال للخطيب حين يتوجه لخطبة فتاة "ولو إنها [ابنتنا] ذبيحة، ما عشتك" وهي كناية عن الموافقة.

وإذا كانت الأسرة لا تقوم إلا على الاستقرار والإشباع النفسي والتقارب بين الزوجين فإننا نجد روايات متناثرة تغاير هذا المسار وتتوسع بتعدد الزوجات بما يفكك أواصر المجتمع ويؤسس عائلات مضطربة. قال الذهبي "وَنَقَلَ بَعْضُهُمْ: أَنَّ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ تَزَوَّجَ سَبْعِينَ امْرَأَةً، وَلَمْ يُولَدْ لَهُ وَلَدٌ". وقيل كان

<sup>١</sup> وتحت مظلة القوامة يرى بعض العلماء أنه لا يَشْكُرُ الرَّجُلُ فِي دَارِ زَوْجَتِهِ عِنْدَ أَهْلِهَا كما ورد في غذاء الألباب للسفاريني.

<sup>٢</sup> طبقات ابن سعد، ١٩٩٧م، ج ٥، ص ٢٤٩، النووي، ١٩٩٦م، تهذيب الأسماء واللغات، ج ٢، ص ٣٣٥، ابن عساكر، آل حمدان، ٢٠٠٩م، ص ٦٥٤.

<sup>٣</sup> قال الغزالي الزواج عقد رق! وقال غيره إن عقد النكاح وضعه الشارع ليرتب عليه انتفاع الزوج ببضع الزوجه وسائر بدنها من حيث التلذذ (انظر أيضاً، الجزيري، ٢٠٠٩م، ج ٤، ص ٧٨٩). قال محمد عبده "وإنه من المؤسف أن تشغل الأمة الإسلامية بقضايا هامشية كإطالة اللحى وتقصير الثياب، والدفاع عن النقاب والسواك... بل لا يخجل الفقهاء من تعريف الزواج بأنه "عقد يملك به الرجل بضع المرأة".



للزبير أكثر من ألف أمة و"كَانَ الْمَغِيرَةُ نَكَاحًا لِلنِّسَاءِ ... وَكَانَ يَنْكِحُ أَرْبَعًا جَمِيعًا، وَيُطَلِّقُهُنَّ جَمِيعًا". وقال مغيرة بن شعبه: حصنت تسعاً وتسعين امرأة، ما أمسكت واحدة منهن على حب، ولكني أحفظها لمنصبها وولدها، فكنت أسترضيهن بالباه شاباً، فلما أن شبت وضعفت عن الحركة استرضيهن بالعطية" (المحاسن والأضداد، الجاحظ، ص ٦٥). وذكر ابن كثير في البداية والنهاية "أحصن المغيرة ثلثمائة امرأة. وقال غيره: ألف امرأة. وقيل: مائة امرأة. وقيل: ثمانين امرأة". وفي إحياء علوم الدين "كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلقاً ومنكاحاً ... وكان علي رضي الله عنه يضر من كثرة تطليقه فكان يعتذر ويقول إن حسنا مطلقاً فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا أمير المؤمنين لننكحه ما شاء فإن أحب أمسك وإن شاء ترك ففرح علياً وقال: لو كنت بواباً على باب جنة، لقلت لهمدان ادخلي بسلام" (بتصرف).

### تحديات تحد من حركتها المجتمعية

إن تفضيل الدعوة القديمة-الحديثة ببقاء المرأة في قعر البيت وعدم الخروج منه إلا للضرورة القاهرة ليس دائماً بهدف التربية والعناية بالأسرة بل هو ميل قد يحمل قدراً غير قليل من مشاعر خوف الفتنة منها وعليها، ولذا يأخذ معنى الحجر والتملك (الزهراني، ٢٠٧م). قال القرضاوي "الاتجاه الذي ساد العالم الإسلامي قروناً هو اتجاه التزم والتشديد على المرأة وسوء الظن بها".

ورد في المصنّف في الحديث والآثار لابن أبي شيبة قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَحْبِسُوا النِّسَاءَ فِي الْبُيُوتِ فَإِنَّ النِّسَاءَ عَوْرَةٌ. وَقَالَ عُمَرُ: اسْتَعِينُوا عَلَى النِّسَاءِ بِالْعُرِيِّ إِنَّ إِحْدَاهُنَّ إِذَا كَثُرَتْ ثِيَابُهَا وَحَسُنَتْ زِينَتُهَا أَعَجَبَهَا الْخُرُوجُ وَقَالُوا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ الْمَرْأَةِ عَوْرَةٌ حَتَّى ظَفْرُهَا. لقد أشاع بعض الفقهاء عبارات مثل "المَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَاحْبِسُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ". وقالوا "ظفر المرأة عورة، فإذا خرجت فلا يبين منها شيء ولا خفها، فإن الخف يصف القدم" (الحنبلي، ١٩٩٧م، ج ٥، ص ١٤٥). وفي تحفة المحتاج في شرح المنهاج للهيتمي "ويحرم النظر إلى قلامه رجلها دون قلامه يدها". وقال الهيتمي (١٩٨٧م) "حرم أئمتنا النظر إلى الأجزاء المنفصلة من المرأة كقلامه ظفر يدها، أو رجلها" (ص ٥٧).

ويروج المتشددون حديث أسماء بنت يزيد -وهو حديث ضعيف- "فَأَنَا مَعْشَرُ النِّسَاءِ مَحْضُورَاتٌ [مَحْبُوسَاتٌ مَمْنُوعَاتٌ]، فَوَاعِدُ بُيُوتِكُمْ، وَنَقْضِي شَهَوَاتِكُمْ، وَحَمَلَاتُ وَحَامِلَاتُ أَوْلَادِكُمْ" (قمير، ٢٠٠٦م، ص ٢٦٣). ولا تنظر المرأة لخارج منزلها كي لا ترى الرجال ويمنع منعاً باتاً أن يُسمع صوتها خارج المنزل. وإلى بدايات القرن الماضي كما يقول يوسف القناعي "ليس في دورهم منافذ على الطريق لتخلل الهواء ودخول الشمس إلا ما ندر وفتحها عندهم عيب كبير لأنه يسمع منه صوت المرأة". ورد في الإحياء للغزالي أن السلف كانوا "يسدّون الكوى والثقب في الحيطان لئلا تطلع النسوان إلى الرجال. ورأى معاذ امرأته تطلع في الكوة فضرها". من المعروف تاريخياً أن الحياة في الريف والبادية كانت أكثر

مرونة وحرية لحركة المرأة مقارنة بحياة المدينة والأغرب أن فرص تعلم الإماء في القصور عند السلاطين كانت أحيانا أكبر من فرص الحرائر!

وفي كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي "كان عمر رضي الله عنه يقول "أعزوا النساء يلزمن الحجال [الستر]. وقال أيضاً: عودوا نساءكم لا، وتكلم مرة في شيء من الأمر فأخذت امرأته تراجعته في القول فزبرها [عنفها] وقال: ما أنت لهذا إنما أنت لعبة في جانب البيت إن كانت لنا إليك حاجة وإلا جلست كما أنت". وهذه الأخبار تنطوي على إلغاء صريح لشخصية المرأة.

وفي سبيل ترسيخ الخنوع نجد المرأة بعد سلطان والدها خاضعة لسلطان زوجها وتُساق القصص الواهية لتربية المرأة على قيود قاسية وأوضاع بائسة لإرضاء زوجها وهي في سجن البيت. ورد في الإحياء أنه كان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى الأسفل وكان أبوها في الأسفل، فمرض ... فمات ولم تزره فغفر الله لأبيها بطاعتها لزوجها. هذه القصة جاءت في كتاب لتهديب النفوس وتربيتها. ديننا ينبذ القسوة بكافة صورها ولا نحتاج إلى تبرير وسرد قصص تراثية تعارض مع قيم الحرية والكرامة والإنسانية.

وحتى حال جلوسها في قعر البيت لا تصعد ولا تنزل فالشك قد يراود فكر الرجل صاحب اللب المسلوب. ورد في كتاب المدخل النموذج التالي للزوج المثالي الذي يحافظ على زوجته وقبل أن يخرج من منزله يوصيها قائلاً: "لا تتحركي، ولا تتكلمي بكلمة في غيبي إلا وتعرضيها عليّ حين آتي لأني مسئول عن تصرفك كله... فبقيت [زوجتي] تُخبرني بما يظهر لها أنّ في ذكره فائدة وتُسكت عن الباقي فوجدت نفسي قللاً... فبقيت إذا دخلت البيت يُنطق الله لي جدار البيت حين أدخل فيقول لي جميع تصرفها". هل هذه علامات الصلاح وحسن الظن بالزوجة؟ هذه التوجيهات سالبة لا تصنع من المرأة راعية وقائدة ورائدة. إن أعز أمر بين الزوجين الثقة وإحسان الظن.

الحنين لتطبيق قيم الماضي يجعل البعض يشفق لحبس المرأة في البيت كما كان الأمر في عصور مضت. ذكر القرطبي في تفسيره "قال ابن العربي: لقد دخلت نيفا على ألف قرية، فما رأيت نساء أصون عيالا ولا أعف نساء من نساء نابلس... فإني أقمت فيها فما رأيت امرأة في طريق نهارا إلا يوم الجمعة فإنهن يخرجن إليها حتى يمتلئ المسجد منهن، فإذا قضيت الصلاة وانقلبن إلى منازلهن لم تقع عيني على واحدة منهن إلى الجمعة الأخرى. وقد رأيت بالمسجد الأقصى عفاف ما خرجن من معتكفهن حتى استشهدن فيه". ومن الأمثال القديمة في أفغانستان وباكستان "ليس أمام المرأة سوى البيت أو القبر" (أحمد، ٢٠٠٤م، ص ١٥٨) وكذا في سائر الدول العربية حيث تلقن البنت قبل زواجها "ادخلي بالعباءة واخرجي بالكفن". وعن فترة من فترات التاريخ نقرأ في إتحاف الحنفاء للمقريزي "ومنع النساء أن

يخرجن إلى الطرقات في ليل أو نهار سواء أكانت المرأة شابة أم عجوزاً، فاحتبسن في بيوتهن ولم تر امرأة في طريق، وأغلقت حمامتهن، وامتنع الأساكفة من عمل خفاف النساء وتعطلت حوانيتهن".

ولو اعتزلت المرأة واعتكفت في بيتها وأغلقت الأبواب على نفسها وجلست في غرفة مظلمة فلن تكون آمنة وستلاحقها الفتاوى الغريبة لكبار العلماء حيث قالوا: ولأن الشَّهْوَةَ عَلَيَّهِنَّ غَالِبَةٌ تَحْرُمُ الْخُلُوءَ بِحَيَوَانٍ يَشْتَهِي الْمَرْأَةَ أَوْ تَشْتَهِيهِ كَالْقِرْدِ وهذا قول ابن الجوزي وابن تيمية (الحنبلي، ١٩٨٨م، ج٧، ص٣، البهوتي، ١٩٩٧م، ج٢، ص٦٢٤). وفي كتاب كشف القناع "وَتَحْرُمُ الْخُلُوءَ بِغَيْرِ مَحْرَمٍ وَلَوْ بِحَيَوَانٍ يَشْتَهِي الْمَرْأَةَ". وابن حزم الذي تعلم من النساء كتب عن طباع النساء: أهن "متفرغات البال من كل شيء إلا من الجماع ودواعيه، والغزل وأسبابه، والتألف ووجوهه لا شغل لهن غيره ولا خلقن لسواه... إن المرأة إذا بقيت بغير شغل إنما تشوق إلى الرجال".

تلك الفتاوى لها حضورها القوي وتأثيرها الخفي على تراثنا الديني إلى اليوم. قال ابن العثيمين "الخلوة يجب التحرز منها كثيراً لثلاث تعبت المرأة بالطفل، وإذا علمنا أن من النساء من تدخل القرد عليها لتمتع به فما بالك بالصبي لسبع سنين" (٢٠٠٨م، فتاوى المرأة المؤمنة في فقه الدين وأمور الحياة، ص٤٩٣). تنتشر هذه الفتاوى على شبكات الانترنت وتشكل وعي وضمير وشخصية المرأة ومع غياب الفكر الناقد تتحول الآراء الشخصية إلى مسلمات دينية.

ورد في الأثر "إن المرأة غلٌّ فانظر ماذا تضع في عنقك، قال عمر رضي الله عنه النساء عورة فاستروا عوراتهن بالبيوت، وداووا ضعفهن بالسكوت. لا تسكن نساءكم الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، واستعينوا عليهن بالجوع، والعري فإنهن إذا جعن لا يمرحن، وإن عرين لم يتبرحن. (الدجاجي، ص٥٦-٥٩).

وورد "وإذا احتاجت إلى خطاب الأجنبي [من الرجال] فليكن بصوت غليظ لا رخيم. فتأخذ ظهر كفيها بفيها وتجب كذلك" (الحبشي، ١٩٩٤م، ص٦٨، باختصار). قال الذهبي في كتابه المنسوب إليه الكباير "فإن اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها ولأجل حمام ونحوه مما لا بد لها منه فلتخرج بإذن زوجها غير مترجة، في ملحفة وسخة في ثياب بيتها وتغض طرفها في مشيتها وتنظر إلى الأرض لا يميناً ولا شمالاً فإن لم تفعل ذلك كانت عاصية". هذه الوصايا وغيرها أكثر تنشر في شبكات الانترنت لتربية البنات وصنع جيل جديد ويتم تقديمها على أنها وصايا إسلامية غالية أغلى من الذهب! المعاملة القاسية لا تجوز ولا تليق للتعامل مع أسير في الحروب ولا سجين مُذنب ولكنها انتشرت بين الأحرار وآمن بها بعض الأخيار وكتبها الحكماء ويطالب بها بتطبيقها البعض اليوم.

وإلى القرن الماضي وفي سن الثامنة تحجب البنت من المدرسة خشية على أخلاقها (أبو الإسعاد، ٢٠٠٥م، ص١١٣). ولقد كانت عادة (الخفار) سائدة في الكثير من المجتمعات الخليجية وغيرها. "والخفار هو حفل إعلان عن التحجب... ثم تدخل البنت إلى البيت وهو دخول نهائي في الغالب

للبنات المخفورة ولا تخرج بعده للشوارع إلا للضرورة حتى تنزوج<sup>١</sup>. قال البهوتي "والْحَفْرَةُ مَنْ تَتْرُكُ الْخُرُوجَ مِنْ مَنْزِلِهَا صَيَانَةً مِنَ الْخَفْرِ وَهُوَ الْحَيَاءُ" (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإيرادات) . ورد في أزوجة كويتية (أغنية شعبية): "إحنا بنات مخفرات، بالبيت دوم مقعدات، كل شيء حرام حتى الهوا حتى السلام، والطلعة بالحسرات علينا".

وقيل عن عقل المرأة: ليس في استعدادهن الوصول إلى تمام العقل ويجب ستر المرأة وفي وقت الصلاة. يجب أن تكون في أشد مكان فيه ظلمة من بيتها (الدومي، ٢٠٠٧م، ص ٥٦٧). يقول عبدالله النوري إن "الذين يجنحون بها إلى تقاليد الستر: يريدون المرأة أن تكون في سجون مغلقة، أسوارها عالية، تسودها ظلمات بعضها فوق بعض، لا تبصر عالماً، ولا ترى من جمال الطبيعة شيئاً".

ومن العادات الجائرة في بعض البلاد الإسلامية أن المرأة كانت في العدة بعد وفاة زوجها تمتنع عن رؤية أبناء الجيران إذا لعبوا مع أطفالها إلا الصغار جدا ولا تمس الرماد والملح ولا تنظر إلى المرأة وفي آخر ليلة في عدتها تُؤخذ للبحر معصوبة العينين خوفاً من أن ترى رجلاً في الطريق فيموت (الخرافي، ٢٠٠٧م، ص ٦١٤). وهكذا لا يتغير كثيراً حال الإناث في مرحلة الطفولة عن الكهولة والشيخوخة فالجبال الوثيقة كالجبال الراسخة تقلل من تقدمها وتكبل حركتها.

ولا يقف التضيق على حركة المرأة في الدنيا بل يستمر إلى العالم الأخروي عند فئة من علماء الدين. إن عدم رؤية المرأة لله يوم القيامة هو رأي مشهور للسيوطي ذكره في رسالته المسماة *إسبال الكساء على النساء* وقال في مقدمة الرسالة "الذين أجمع أهل السنة على أنهم يرون ربهم في الآخرة هم المؤمنون من رجال بني آدم من هذه الأمة المحمدية" (ص ١٢) وهكذا سترنا لمن في الآخرة لن يرين ربهم كما يرى المؤلف (ص ١٧). والعبيد سيتنعمون بالنظر إلى وجه الله سبحانه في الآخرة لبضعة أسباب منها "أن الرق يزول بالموت وأما الأنوثة المقتضية للستر فمستمرة". ويخلص السيوطي إلى أنه من الأحسن عدم الجزم بهذه المسألة بشيء (ص ٤٤). ولا عجب أن لا تستحسن بعض النفوس فكرة التوسع في تعليم المرأة في سياق مثل هذا الآراء الحادة في التضيق.

الحياة مليئة بالطيبات والبعض يصر على أن يحولها إلى محرمات ويطوع التربية والتعليم ويسخرها لقهر الحرية وقمعها. ليس من العلم والعدالة في شيء أن نتحدث عن مظالم الشعوب الأخرى بالتفصيل ونتجاهل عادات جائرة أساءت لمكونات التراث، وعكرت مسار الفكر، ولا زالت بكرامها تشوه معالم هويتنا الحضارية.

### تعليم الأنثى وتأديبها

<sup>١</sup> (الغدامي، ٢٠٠٤م، ص ١٣٨-١٣٩، باختصار وتصرف، موسوعة الأسرة، ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٤٢١).

يذهب فريق من الباحثين إلى تقرير التالي " لم يفرق الفكر التربوي الإسلامي في التعليم بين الذكر والأنثى إلا بما يناسب كل نوع. أما ما ظهر من دعوات تحض على عدم تعليم البنات كما فعل أبو الثناء الألويسي فهو من قبيل الاستثناء والشذوذ عن القاعدة" (الرشدان، ٢٠٠٤م، ص ١٦، ١٩٧، انظر أيضا عزب، ٢٠٠٩، ص ٢١٤). ويظهر أن الوصايا السلبية والآراء المضادة لتعليم المرأة " لم تحفظ ولم تطبق إذ ضرب بعض النساء بسهم كبير من العلم والتربية منذ نشوء الإسلام إلى وقتنا هذا" (طوطح، ٢٠٠٤م، ص ٦٧).

وبخلاف الرأي السابق يعتقد ثلة من الباحثين أنه تم تقييد حركة تعليم الفتاة لفترات تاريخية طويلة وكان بعض علماء الدين العقبة الرئيسية حيث يجرمون تعليمها بضغط من إرث العادات (السياف، ٢٠٠٦م، ص ٥٠، ٥٢، الصالح، زيدان، ٢٠٠٥م، ٢٨١، الوشمي، ٢٠٠٩م، ص ٥٣). الواقع الحقيقي لتربية المرأة لم يكن مشرقا كما يصوره بعضنا بل شدد بعض الأحناف في حركة تعليم المرأة فقالوا الأفضل أن تقوم امرأة بتعليم الفتاة أو أعمى والأفضل امرأة وذلك أن صوت المرأة عورة (الحمال، ٢٠٠٩م، ص ١٧٨، ١٧٩). رغم وجود قدر من التعليم للنساء (حسانين، ٢٠٠٨م، ص ١٦٥، العلواني، ٢٠٠٣م، ص ١٣٢) إلا أنه " لا عبرة هنا بوجود بعض الأديبات والمعلمات والمتقنات في بعض المدن لأن المرأة ظلت غائبة عن المجال الثقافي إلى عهد قريب، وفي مختلف المجتمعات التقليدية، ولعل هذه الوضعية لم تبدأ في التغيير الجدي إلا منذ النصف الثاني من القرن العشرين" (الزهراني، ٢٠٠٧م).

كان المنع من التعليم النسوي أشبه بالمبدأ العقدي في الأوساط الشعبية وهناك استثناءات لهذه القاعدة حيث نجد نساء متعلمات وخاصة في البلاد الأندلسية حيث يندر وجود امرأة جاهلة ولكن ورغم ذلك ظل التعليم في معظم العصور الإسلامية ظاهرة رجالية (قمير، ٢٠٠٦م، ص ٢٤٧). وعندما فتحت مدارس البنات في القرن العشرين وصفها البعض بأنها "المصيبة العظيمة والطامة الكبرى" ومن أعظم المنكرات وتم تبادل الاتهامات بالزندقة بين الخصوم في كثير من المدن الإسلامية حتى أنه في بعض الحالات فتحت مدارس البنات بحماية القوة العسكرية (الوشمي، ٢٠٠٩م، ص ١٦، ١٨، ٣٦، ٨٩) رغم أنها فتحت حسب الأصول الشرعية إلا أن المعارضة الشعبية والدينية كانت قوية جدا. حرمت المرأة المسلمة من التعليم إلا في نطاق ضيق فمُنعت من حقها الشرعي وأضحت قاعدة سد الذريعة والخوف عليها سلاحا مشرعا في وجه أي دعوة لاستعادة مكانتها وأصبحت العادات الاجتماعية أحيانا ثوابت دينية (العلواني، ٢٠٠٣م، ص ١٤٣، ٢١٣، ٢٥٣).

ينبغي أن لا ننكر أن في عصور التراجع والتخلف في معظم الأقطار الإسلامية حرمت المرأة من حقها في طلب علم الدين والفقه فيه، ومنعها من دخول المسجد للصلاة أو التعلم. ولا زال بعض الناس يحملون بعض هذا الفكر (القرضاوي، ٢٠٠٤م، ص ١٨٢، علي، ٢٠٠٥م، ص ٣٠٢، الصالح

وملك، ٢٠٠٧م). يقول عباس محجوب (٢٠٠٧ م) في كتابه *التربية والتعليم في كتب التراث* "ومع أن الإسلام أكرم المرأة مثل الرجل وساواهما في حق التعليم والتعلم إلا أن الفكر التربوي الإسلامي لم يهتم أو يركز كثيراً على تعليم الإناث، وبعضهم حصر تعليمها في البيت وضيق مجالات التعليم في مواد معينة مرتبطة بالفقه الديني وفروض العين" (محجوب، ٢٠٠٧م). ويتفق الغلاييني (٢٠٠١ م) مع ما سبق فيقول "جماهير نساء الشرق اليوم وقبل بضع مئات من السنين قد أهملت كالسواثم... وحرموها التعليم والتربية" (ص ١٢٦). إن موروثات الماضي "مثلت رؤية سياسية تعكس ثقافة متحجرة انبثقت من عصور التخلف وأسهمت في تكريس الدور الهامشي للمرأة في حياة وتفكير المجتمع الإسلامي" (السنبل، ص ٥٢).

إن نظرة المجتمع العربي لم تتفق على طريقة تعليمها فبعضهم رأى أن تتعلم ما يعينها ويعينها على فهم أمور دينها، ومنهم من لا مانع لديه من أن تصعد الفتاة لأعلى درجات المعرفة (أبوعمشة، ١٩٨٧م، ص ٢٣٩، ٤٦٣). وفي بعض البلدان الإسلامية كان "تعليم المرأة إلى أوائل الثمانينات من القرن الهجري السابق يكاد يكون مقصوراً على تعليم بسيط لا يتجاوز القراءة البسيطة للقرآن الكريم" (المزيني، ٢٠٠٨م، ص ٢٩). منع البنت من المدرسة كان ولم يزل متأثراً بالقيم القديمة الراسخة وأن البنت في البيت آمنة (Gewirtz, S & Cribb, 2009, p. 8). من المهم التشديد على أن إبعاد الفتيات من الكتابات كان لأسباب مجتمعية وفكرة المنع تتنافى أساساً مع الأصول الإسلامية (Akkari, 2008, p. 234).

ورد في كتاب *نهاية التربية الظرفية في طلب الحسبة الشريفة*: "ولا يُعلم [المؤدب] الخط امرأة ولا جارية، لأن ذلك مما يزيد المرأة شراً وقيل: إن مثل المرأة التي تتعلم الخط مثل حية تُسقى سمّاً". ذلك الكتاب صنّفه الشّيزري وهو كتاب له ثقله في الممارسة الواقعية وفيه باب عن "الحسبة على مؤدبي الصبيان". ولا يختلف هذا التوجه عما ورد في كتاب *معالم القرية في معالم الحسبة لابن الأخوة*.

قال القابسي مُحذراً من تعليم البنت الكتابة (٢٠٠٩م، ص ٢٧٣) "وسلامتها من تعلم الخط أنجى لها". وقال عبدالقادر الجزائري في *ذكرى العاقل وتنبيه الغافل* "نهي شرع الإسلام، عن تعليم النساء الكتابة، لأن المرأة، قد لا يمكنها لقاء من تهوى، فتكتب له. فتكون الكتابة، سبباً للفتنة". ويروى عن أبي الشاء في كتابه *الإصابة في منع النساء من الكتابة* أنه قال "فأما تعليم النساء القراءة والكتابة فأعوذ بالله منه، فاللييب من الرجال من ترك زوجته في حالة من الجهل والعمى فهو أصلح لهن وأنفع". هذه المواقف المتشددة فرضت على العقل الأنثوي والعقل الجمعي وضعا مهماً في سياق المتحول الثقافي (الموشي، ٢٠٠٤م، ص ١١٧).

ونقرأ في تفسير القرطبي شرحاً لحديث "ولا تعلموهن الكتابة": وكذلك تعليم الكتابة ربما كانت سبباً للفتنة، وذلك إذا علمت الكتابة كتبت إلى من تهوى. والكتابة عين من العيون، بها يبصر الشاهد

الغائب، والخط هو آثار يده. وفي ذلك تعبير عن الضمير بما لا ينطلق به اللسان، فهو أبلغ من اللسان. فأحب رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينقطع عنهن أسباب الفتنة؛ تحصينا لهن، وطهارة لقلوبهن". وعن الكتابة نقرأ في فيض التقدير للمناوي "إنها للنساء مكروهة".

وحتى في تعلم القرآن الكريم وضع البعض قيودا منها: "ولا ينبغي للمعلم أن يُعلم البنت" سورة يوسف" (الخباز، ٢٠٠٩م، ص ٩٦). وقال الألوسي في تفسيره "وقد صحح الحاكم في مستدرکه حديث النهي عن تعليم النساء سورة يوسف". وفي كتاب الحاوي للفتاوي للسيوطي "كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن" (ج ١، ص ٣٥٩) وكذا في كتابه الإتيان علوم القرآن، ونقل مثله القاضي عياض في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى وأيضاً سالم الحضرمي البتاي في كتابه سفينة النجا.

ورؤى في الأثر: "علموهن العزل، ولا تُسكنوهن العُرف، ولا تعلموهن الخط" (المشتولي، ص ١٤). والأمر بتعليم المرأة المغزل لا يراد به الإنتاجية، بل يراد به عزل المرأة عن الحياة العامة وتجهيلها (الصراف، ٢٠٠٨م، ص ٢٨٣). وقال محمد الخراشي في منح الحليل شرح مختصر خليل "وَتَعْلِيمُ الْأُنثَى مَا نُصَلِّي بِهِ كَالذَّكْرِ، كَذَلِكَ وَيَتَعَيَّنُ عَلَى الْوَلِيِّ وَالزَّائِدِ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّهَا حَسَنٌ، وَكَذَا الْعِلْمُ لَا الرَّسَائِلُ وَالشُّعْرُ وَتَرْكُ تَعْلِيمِهَا الْخَطُّ أَصَوْنٌ" (ج ٣، ص ٧٣٤، المغراوي، ٢٠٠٩م، ص ٥٣٨).

ورد في الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي (٩٠٩ - ٩٧٤ هـ، ١٥٠٤ - ١٥٦٧ م) فصل بعنوان (مطلب: يكره تعليم النساء الكتابة) وجاء فيه "مرّ لقمان على جارية في الكتاب فقال لمن يُصقل هذا السيف؟ أي حتى يذبح به، وحينئذ فيكون فيه إشارة إلى علة النهي عن الكتابة، وهي أن المرأة إذا تعلمتها توصلت بها إلى أغراض فاسدة، وأمكن توصل الفسقة إليها على وجه أسرع وأبلغ وأخدغ من توصلهم إليها بدون ذلك، لأن الإنسان يبلغ بكتابته في أغراضه إلى غيره ما لم يبلغه برسوله، ولأن الكتابة أخفى من الرسول فكانت أبلغ في الحيلة وأسرع في الخداع والمكر، فلأجل ذلك صارت المرأة بعد الكتابة كالسيف الصقيل الذي لا يمر على شيء إلا قطعه بسرعة فكذلك هي بعد الكتابة، تصير لا يطلب منها شيء إلا كان فيها قابلية إلى إجابته إليه على أبلغ وجه وأسرع. الكتابة خاص بالولد الذكر. واعلم أن النهي عن تعليم النساء للكتابة لا ينافي طلب تعلمهن القرآن والعلوم والآداب، لأن في هذه مصالح عامة من غير خشية مفسد تتولد عليها بخلاف الكتابة، فإنه وإن كان فيها مصالح إلا أن فيها خشية مفسدة ودرء المفسد مقدم على جلب المصالح" (ج ١، ص ٦٣، باختصار).

ما سبق رؤى تنطلق من الإيمان بأصل المرأة الشرير وميلها للفساد وتؤكد ذكورية الرؤية في الحياة فالمرأة في مثل تلك الفتاوى شر ومن الشر وإلى الشر وعلى المرأة أن تنفذ أوامر الرجل الذي يفهم الدين والدنيا نيابة عنها كي لا تخرج من سلطته وسيطرته (الوشمي، ٢٠٠٩م، ص ٧٣، ٧٦).

وفي مجال تهذيب أخلاق المرأة وتعليمها قالوا: "اعلم أن معاملة النساء أصعب من معاملة الرجال لأنهن أرق ديناً وأضعف عقلاً وأضيق خلقاً"<sup>١</sup>. المرأة "مُعَوَّجَةُ الْأَخْلَاقِ لَا تَسْتَقِيمُ أَبَدًا، فَمَنْ حَاوَلَ حَمَلَهَا عَلَى الْأَخْلَاقِ الْمُسْتَقِيمَةِ أَفْسَدَهَا، وَمَنْ تَرَكَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْوَجَاجِ انْتَفَعَتْ بِهَا... خُلِقْنَ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ الَّتِي لَا يُفِيدُ مَعَهَا التَّأْدِيبُ أَوْ يَنْجَحُ عِنْدَهَا النَّصْحُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الصَّبْرُ وَالْمُحَاسَنَةُ وَتَرَكَ التَّأْنِيبَ وَالْمُحَاسَنَةَ" (الشوكاني، نيل الأوطار). وفي رأي الغزالي "فيهن شر وفيهن ضعف، فالسياسة والخشونة علاج الشر، والمطايبة والرحمة علاج الضعف، فالطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء، فلينظر الرجل أولاً إلى أخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيها حالها".

إن خلق حواء من الضلع يدل على "أنهن خلقن من العوج فلا يطمع في تقويمهن" (الأبياري، ٢٠٠٢ م، ص ١٥). المرأة - كمبدأ عام عند فئة من الدعاة - "مستعدة لأن تقع في الخطأ أكثر من استعداد الزوج لذلك" (أيوب، ٢٠٠٢ م، ص ١٨٣). "المرأة تحكمها العاطفة" (الصلابي، ٢٠٠٧ م، ص ٤٧٠). وفي ظل هذا الإطار السلبي انحرف المسار الثقافي وفقد التعليم قدرته على تطوير طاقات المرأة بشكل صحيح وتعدت العملية التعليمية وأصبح حصاها النافع محصوراً في بعض الميادين الحياتية.

وإذا أجهنا نحو عقاب المرأة فنجد أن ضرب المرأة بغرض التأديب أصبح يهدد المجتمع المدني ولا زالت بعض الكتابات المعاصرة تستند إلى التراث لتسوغ ضرب المرأة وتطالب بالعقاب مع توشي الرفق بالمرأة فالضرب في ظنهم طريق من طرق العلاج يجدي مع بعض النفوس الشاردة التي لا تفهم بالحسنى... فبعض النساء يعجبهن من الرجل قسوته، وشدته، وعنفه؛ فإذا كانت امرأة من هذا النوع فإنه لا يستقيم أمرها إلا بالضرب (الحمد، ٢٠٠٤ م، انظر أيضاً عباس، ٢٠٠٦ م، ص ٧٢). هذه رؤية مجتمعية مرتبطة بالعادات ومن الصعب أن نقول عنها من محاسن الإسلام كما يصرح أولئك النفر. إنها للأسف الشديد أدبيات تستند للتراث لتكريس الضرب ولتكون سمة من سمات المؤسسة الأسرية المسلمة (انظر مهنا، ٢٠٠٦ م، ص ٢٤٧، فرج، ٢٠٠٤ م، ص ٥١).

ويروج البعض الحديث التالي "لَا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ" (الشرابي، ٢٠٠٢ م، ج ٢، ص ١٩٨، النووي في رياض الصالحين) من دون بيان ضعف الحديث عند بعض المحدثين. "وَقَالَ أَحْمَدُ فِي الرَّجُلِ يَضْرِبُ امْرَأَتَهُ "لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْأَلَهُ وَلَا أَبُوَهَا لِمَ ضَرَبَتْهَا؟" (ابن ضويان، ١٩٨٩ م، ج ٢، ص ٢٢٤). "وترى بعض الأمثال أن المرأة لا تلين لزوجها وتطيع أوامره، إلا بعد الضرب والإهانة: (إذا بدك المرأ تلين، عليك بحطب التين)، و(الشمس بعد الغيم، والمرأ بعد الضيم). (إذا أردت الحد الأقصى من امرأة أو كلب أو جوزة، فحسبك أن تلجأ إلى الضرب)، و(المرأ مثل الزيتون، ما بتحلى إلا بالرص)، و(المرأ مثل القط بسبع أرواح). هذه الأمثلة في بعض مدلولاتها انعكاس لتقلص معاني الحوار والإصلاح

<sup>١</sup> البروسوي، ١٩٨٥ م، ج ٢، ص ١٨١، السيوطي، شرح السيوطي على السنن الصغرى، ج ٧، ص ٧٢، باحارث، ٢٠٠٧ م، ص ٣٥.



الراقي بل هي امتدادات طبيعية لعادات متحجرة وانحرافات فكرية سببت ولا زالت تسبب ضعف الإيمان بقدرات المرأة وعقلها الوقاد. إن التأخر المعرفي إزاء قضايا المرأة الراكدة والوافدة ألحقت الضرر في العقل المسلم وسببت له تشوهات معرفية وأخرت مسيرة الأمة.

قال الأبشيهي في المستطرف "ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال: من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه تفاحة القلب، فقال: انبذها عنك، فإنهن يلدن الأعداء، ويقربن البعداء ويورثن الضغائن. قال: لا تقل يا عمرو ذلك، فوالله ما مرض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الإخوان إلا هن. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين إنك حبيتهم إلي!!".

يتتاب المرء العجب ويختار الفكر حينما يسمع ما قاله ابن بسام البغدادي:

مما للنساء وللكتبا  
بسة والعمالة والخطابة  
هَذَا لَنَا وَلِهِنَّ مِنْ  
نَا إِنَّ يَبْتَن عَلَيَّ جَنَابَهُ

وبعده بفترة طويلة جاء مصطفى صادق الرافعي فقال:

يا قوم لم تخلق بنات الورى  
للدرس والطرس وقالٍ وقيل  
لنا علومٌ ولها غيرُها  
فعلموها كيف نشرُ الغسيل  
والثوبُ والإبرةُ في كفِّها  
طرسٌ عليه كلُّ خطٍّ جميل

كثيرة هي الأفكار التي هيمنت على الساحة التعليمية ونصيبتها من الصواب قليل وأسانيدها لا تصح وإن صحت فهي مضطربة المتن وعللها قاذحة. ومن ذلك قولهم "عن الزهري: العلم ذكر فلا يحبه إلا ذكورة الرجال" (البروسوي، ١٩٨٥م، الزمخشري، البقاعي، الشريبي، ٢٠٠٤م). وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبدربه "العلم ذكر يحبه ذكورة الرجال ويكرهه مؤنثوهم" وورد في تاج العروس "العلم دَكْرٌ لا يُجْبُهُ إِلا ذُكُورُ الرِّجَالِ". وقيل "علم القرآن ذكر لا يعلمه إلا الذكور من الرجال". ومن ذلك قولهم عن الشعر "إنما يحبه فحول الرجال ويكرهه مؤنثوهم". وقالوا:

وكيف يرجى العقل والرأي عند من  
يروح إلى أنثى ويغدو على طفل

وأنشده غيره في معناه:

متى يأت المعلم يوم خيرٍ  
ولم يعرف سوى أنثى وطفل!

ونحوه قولهم "لا تستشيروا معلماً، ولا راعي غنم، ولا كثير القعود مع النساء". كان يقال: لا ينبغي لعامل أن يشاور: الرجل الكثير المحادثة للنساء. وقالوا "وينبغي للعالي المهمة أن لا يكون معلمه مؤثماً".<sup>1</sup> وعليه، فالعلم قيمة معيارية ذكورية (الفيفي، ٢٠٠٦م، ص ٨٧)، ويذهب إحسان الأمين إلى أنهم حصروا العلم بالذكور، دون الإناث، وكأن العلم مختص بهم دون غيرهم حتى انسحب إلى فكرهم العلمي ومواقفهم العملية. إن قضية المرأة لا زال من أهم الموضوعات التي يتدخل فيها العرف والفهم الاجتماعي، وقد ترتبت على الموقف منها والنظرة إليها آراء بل معتقدات ومواقف وأحكام دينية، ولم يسلم من هذا التأثير بعض العلماء.

إن الموروث الاجتماعي كون ثقافة جنسوية أو وعي إسمتي مسلح ينعت الرجل بصفات العلم والعقل وينسب بالمقابل إلى المرأة الإبليسية والكيد والميوعة والتقلب ونقصان العقل (دولة، ٢٠٠٩م، ص ٤٣). وهكذا ضرب بين المرأة وبين العلم بسور منيع من التصورات الجائرة والإيحاءات المتحيزة ضد الإناث.

### التداعيات الراهنة

يذهب بعض الباحثين إلى أنه في وقت من الأوقات دارت معارك جدلية بين المسلمين حول جواز تعلم المرأة وكانت حجة المانعين سد الذريعة فالمرأة المتعلمة أقدر على المغازلة والمشاغلة والمكاتبة والمراسلة ثم انتهت المعركة بإقرار الجميع بأن تتعلم كل علم ينفعها (سعداوي، ٢٠٠٦م، ص ٢٥٤). هل فعلا تختار المرأة اليوم تخصصها العلمي بحرية أم ما زالت مخيرة في اختيار مهنة معدودة؟ هل توقف العلماء عن تقليص ميادين ودرجة تعلمها؟ هل تخلص الفكر التربوي الإسلامي بهذه السرعة من ركام ورواسب الماضي وعاد إلى عافيته تماما، وتخلصت المخيلة الشعبية مما سكن في عقلها الباطن طيلة القرون الغابرة؟ قبل الخوض في مقاربات تربوية ودينية واجتماعية وثقافية قادمة يمكن تسجيل مجموعة ملاحظات عامة تمهيدا للمقاربات. يجلو للبعض أن يتحدث عن مساوئ الشعوب غير المسلمة وفي المقابل لا يعترف بسبق الآخرين في ميادين لهم فيها قصب السبق ونعم بشارها اليوم. إن داء الإقصاء وحيازة ناصية الصواب آفة ثقافية منتشرة في معظم الشعوب. مجموعة كبيرة من كتب تطور الفكر التربوي في العالم العربي إذا تناولت قضية المرأة عبر القرون تذكر سلبيات الأمم الغابرة وتغض الطرف عن تحديات أمتنا في ماضيها وحاضرنا أو تذكر عرضا سريعا لها وعلى استحياء، فنعد عيوب غيرنا عدا، ونغفل عن عيوبنا عدا، فلا نخصيها وإذا عاجلناها نعالجها معالجة سطحية ومن غير أرضية حضارية.

<sup>1</sup> (البهاء العاملي، بدون تاريخ، الكبيسي وآخرون، ٢٠٠١م، ص ٥٨، قمبر، ٢٠٠٦م، ص ٢٤٧).

والملاحظة الثانية أن تلك المؤلفات في الفكر التربوي تتحدث عن عظمة الإسلام في تكريم المرأة وتفترض أن تاريخنا صفحة بيضاء ناصعة فنخلط بين الدين والتدين، والنظرية والواقع، والمقدس والبشري. إن الحقائق تنطق بتربية قهرية ففي بلداننا نبرر قتل الشرف (حمود، ٢٠٠٨م، ص ٣٠٣)، وتزويج البنت بغير رضا لابن العم (النهوة: إكراه المرأة على قبول ابن عمها زوجا: الصراف، ٢٠٠٨م، ص ٣٩)، وتزويج صغيرات السن لكبار السن، ومآسي الحتان كثيرة<sup>١</sup>، والمناهج الدراسية لا زالت ترسخ الصورة النمطية للنساء، فهل تخلصنا من رواسب العادات الجائرة حقا؟ لازالت المرأة تتحفظ من ذكر اسمها في الإذاعة وكثير من المجالات الدينية فضلا عن الصحف والمجلات العامة، ويخجل المجتمع من ذكر اسمها في إعلانات الزواج في كثير من مجتمعاتنا وهي ثقافة ما زالت تجرد ذيوها وهكذا يترى الرجال في تقاليدنا (الوشمي، ٢٠٠٩م، ص ٥١، الحشر، ٢٠٠٧م، ص ١٠٧، ١١٢)

الملاحظة الثالثة والأخيرة أننا نتحدث عن مئات المتميزات في تاريخنا ونتجاهل الملايين من الأميات في أوطاننا فنركز على الاستثناء ونهمل الأصل والشائع، ونضخم النادر ونسكت عن الأعم الغالب. وفي المكتبة التراثية نعثر بسهولة على ألف كتاب بأقلام الرجال ونعجز عن العثور على كتاب من تأليف امرأة. نتحدث عن ذمة المرأة المالية وإسهاماتها في الوقف وبناء المدارس—وهذا حق لا مرية فيه—ونحجب القارئ من أنها كانت محرومة من التعلم أو التعليم فيها لعدة قرون إلا نادرا وأن كل أسواقنا مفتوحة للمرأة دائما وأن معظم مساجدنا مغلقة أمام النساء، إلا في المناسبات الدينية! ونغفل أن نذكر للقارئ أن بعضنا إلى اليوم يستند إلى رأي السلف عن ضعف عقلها وأنها لا تحسن سياسة مالها (عثمان، ٢٠٠٨م، ص ٣٥). وإذا كانت التربية الحديثة تدعو لتمكين المرأة في المؤسسات الاقتصادية وغيرها فما زال بعض كبار العلماء يرفض خروجها من المنزل إلا لعذر قاهر فكلها عورة بدنها وصوتها، هذه أصول الشريعة (الشري، ص ١٨-١٩). إننا نذكر نصف القصة وشر الحقائق لا سيما إذا كانت أليمة. وحتى عندما نستدل بالغرب ودراساته قد نستشهد بما يؤيد عاداتنا الراكدة ويسند توجهاتنا المتحيزة فننتقي من الآخرين ما يؤكد القرار في البيت للمرأة، ومضار الاختلاط، ومفاسد الحقوق السياسية للمرأة ونحجب الدراسات المخالفة رغم منطقيتها في كثير مما تذهب إليه مما يجعل الدراسات في بلادنا أقرب للوصاية والأحكام المطلقة وترسيخ العرف الاجتماعي لا البحث والتفكير والتجديد والاجتهاد الموضوعي.

<sup>١</sup> سئل ابن تيمية: عن المرأة: هل تحتن أم لا؟ فأجاب: الحمد لله. نعم! تحتن، وختانها أن تقطع أعلى الجلد التي كعبر الديك ... والمقصود من ختان المرأة تعديل شهوتها، فإنها إذا كانت قلفاء كانت مغتلمة شديدة الشهوة. ولهذا يقال في المشامة: يا بن القلفاء! فإن القلفاء تتطلع إلى الرجال أكثر، ولهذا يوجد من الفواحش في نساء التتر ونساء الإفرنج ما لا يوجد في نساء المسلمين" (باختصار). وبهذا المنطق التراثي لابن تيمية هل تصبح المسلمة التي تحتن أحسن وأعف من المسلمة التي لم تحتن؟!!

إن في غياب المساواة بين الجنسين ضياع لمبدأ المساواة في المجتمع ككل (الحمد، ٢٠٠٥م، ص ٥٨). لم يعد عالم الحریم ممكنا كما كان سابقا لكن لا زال الحلم يداعب الفكر العربي ويعيش في مخيلته (الفقيه، ٢٠٠٩م، ص ٨٢) لا زالت المقولات الذكورية تتردد في خطابات الأدب الشعبي وسياقات الوعظ الديني وعلى ألسنة بعض المتعلمين. إن الماضي الأليم يملكنا ويعيش في حاضرنا ويصور المرأة كمخلوق أدنى (قمبر، ٢٠٠٦م، ص ٢٧٥-٢٧٦). وما تزال عقول كثير من الرجال في عالم اليوم ترى موقع المرأة الطبيعي الانحسار في البيت وهو ضمن تصورات قاصرة تقيد حريات الإناث مما يجعلهن خانعات ويفقدن الثقة بالنفس وهذه المعتقدات القديمة من أهم المعوقات المعاصرة (حمود، ٢٠٠٨م، ص ١٩، ٢٥٧).

وحتى في لبس المرأة ضيقنا واسعاً وأضعنا جهوداً فنجد الفتاوى والكتب التي تطالب الفتاة بستر جميع الوجه وإظهار عين واحدة تبصر بما يرى أسامة نعيم في كتابه *فقه السنة للنساء* (٢٠٠٣م). ثمة أصوات تعيش القرن الراهن ولكن بذهنية مختلفة حيث تنادي بأن تكون المرأة تابعة للرجل لا متبوعة فلا يصح أن تصبح مديرة (النجدي، ٢٠٠١م، ص ٣٤)، ويوصي كبار العلماء والدعاة بالآتي: خير للمرأة "أن لا ترى الرجال ولا يراها الرجال" (ابن جبرين، ١٤١٩ هـ، ص ١٠٠، القرني، ٢٠٠٥م، ص ٢١١، ١٦٥) ويتخذون من الموروثات مرتكزا والآيات ظهيرا لزرع أفكار متشددة لا مجال لها في مجتمع يحترم الحريات الفردية ويعتبرها حاجة ملحة.

تذهب طائفة من كبار العلماء إلى ضرورة تغطية جميع بدن المرأة ولا يجوز أبدا كشف أي عضو منها لأن ذلك تبرج مُحرم شرعا وهذا أمر قطعي لا خلاف فيه لديهم وليس للمرأة حق الاختيار الفقهي فيما فيه خلاف. يرى الشثري (٢٠٠٧م) ومعه مجموعة من العلماء حديثا: إن الله حرم تمكين النساء والأطفال من التصرف في الأموال إلا تحت الوصاية والرعاية من الرجال والمرأة مأمورة بلزوم البيت والانكفاف عن الخروج من البيت إلا لضرورة وإن خرجت تغطي وجهها أو تكشف عينا واحدة... الأئمة ناقصة الظاهر والباطن في الصورة والمعنى... ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار (ص ٧، ١٥، ١٧، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٧٥).

لا زال هؤلاء إلى يوم الناس هذا يروجون -مع الاحترام الشديد لأشخاصهم- أن حواء أخرجتنا من السماء وأن الله سبحانه عاقب النساء بالعادة الشهرية والحمل والوضع كرها... بسبب تلك الغواية الأولى والمشورة الخاطئة، ويقدمون البراهين العقلية والنقلية على أن كل البلاء منهن (عثمان، ٢٠٠٨م، ص ٢٦، ٣٢). وهكذا يستمد التشدد الديني وتياراته من الماضي زاده المضطرب ويصور العادات بأنها محكمات دينية لا يمكن نقاشها. للأسف الشديد كلما زاد التشدد في قضايا المرأة، زاد التمرد والتساهل.

الطرفان في غاية الخطورة في تربية الناشئة على وجه الخصوص مما يسبب التناقض الفكري الحاد في وعيهم وبناء شخصيتهم.

لا بد للعلماء والحركات الدينية وغيرها من مراجعة الفكر الإسلامي المعاصر والابتعاد عن إلزام الناس بأراء المذاهب الفقهية وإتاحة حرية الاختيار في المسائل الخلافية وفك الوصاية الدينية قبل أن تُكسر أكثر وتكون الخسارة أكبر. تعج الجامعات والكليات التربوية بمثل تلك الآراء وكأنها الحقيقة المطلقة وذلك عبر الكتيبات التي تبثها بعض الحركات الدينية التي لا تؤمن برأي آخر وتحرم المرأة حتى من حق اختيار شكل ملابسها في دائرة العفة والصيانة. إن التصورات الخاطئة عن المرأة وعن طبيعتها وعقلها يتفرع منها مثل تلك الآراء المتشددة التي تقيد حريات الإناث بل تنزع منهن الثقة بالنفس.

تشير الدراسات الخاصة بالأديبات الإسلامية اليوم أن بعض المدارس الدينية تتبنى تيارا متشددا ضد المرأة، فهو يعتبرها مخلوقا دون الرجل، وأن عليها أن تلتزم ببيتها ولا تخرج منه إلا مضطرة وبعضهم قال لا تتعلم إلا ما يحو أميتها وبعضهم قال لا تتعلم إلا المرحلة الابتدائية، وبعضهم يلوكون أحاديث نبوية لم يحسنوا فهمها (القرضاوي، ٢٠٠٤، ص ١٨٢) إن جزءا من مأزق الخطاب الإسلامي والفتاوى الشرعية المبالغة في مآلات الأمور وفي التعميم والتهويل فيضع الناشطون دينيا سقفا لتعليم الفتاة ويجرمونها من بعض العلوم الدينية الحديثة (الوشمي، ٢٠٠٩م، ص ١٤٢ - ١٥٢).

ثم تناقض بين ما يكفله القانون والدستور وبين خطاب فئة من التيارات الدينية التي تقلص حرية الفتاة. قال بعضهم "فليس من الملائم لفتاة أن تدرس الهندسة المدنية، أو الميكانيكية، أو الكهربائية" (بكار، ١٤٢٨هـ، ص ٢٨). وعن حكم دراسة النساء للهندسة والكيمياء ورد سؤال لأحد العلماء وهذا نصه "هل يجوز للفتاة أن تدرس في بعض تخصصات العلوم الطبيعية مثل: الكيمياء والفيزياء وغيرها؟" فكان الجواب: "ليس للمرأة التخصص فيما ليس من شأنها، وأمامها الكثير من المجالات التي تتناسب معها، مثل: الدراسات الإسلامية، وقواعد اللغة العربية. أما تخصصات: الكيمياء والهندسة والعمارة والفلك والجغرافيا فلا تناسبها، وينبغي أن تختار ما ينفعها وينفع مجتمعا، كما أن الرجال يعدون لها ما يخصها مثل: الطب النسائي، والولادة، وغيرها" (دار ابن خزيمة، ١٩٩٧م، ص ١٥). وقال الشنقيطي في أضواء البيان ويجب أن تكون النظرة لتعليم المرأة الكتابة على ضوء واقع الحياة اليوم وفي كل يوم، وقد أصبح تعليم المرأة من متطلبات الحياة، ولكن المشكلة تكمن في منهج تعليمها. فكان من اللازم أن يكون منهج تعليمها قاصراً على النواحي التي يحسن أن تعمل فيها كالتعليم والطب وكفى (ج٩، ص ٩٩، باختصار). وهذا يتفق مع نهج حسن البنا الذي آمن بأن تتعلم المرأة ما هي في حاجة إليه في تدبير المنزل وتربية الطفل وكفى! وهكذا وضع كثير من العلماء والدعاة سقفا لتعليم المرأة فلم يتحدثوا كثيرا عن العلوم النظرية والتقنية ولم يتحدثوا عن المرأة الحضارية (المفكرة المفسرة والمواطنة وسيدة

الأعمال والباحثة والأم المثقفة ثقافة رفيعة والزوجة الفخورة بحقوقها والطبيبة المحسنة في واجباتها الأسرية). رغم أن التيارات المتشددة نجحت في التركيز على دور المرأة في الأسرة - ولا شك أن ذلك مهم للغاية - إلا أن ذلك ليس نهاية المطاف لمن أرادت المزيد. أخفقت التيارات المتشددة في السعي نحو المطالبة بتوسيع نطاق تعليم المرأة بل هاجمت هذا الطرح ولا تزال تفعل ذلك وتشحن النفوس. وعلى ضوء ما سبق لا نعجب من وقوف كثير من التيارات الدينية ضد دخول أو اقتحام المرأة الجامعات والحصول على البعثات في الخارج بل اشتعلت المعارك الفكرية في سبيل منع المرأة من التوسع في ميادين متنوعة.

ليس المهم أي تخصص تختار المرأة لدراساتها وعملها فالأمر فيه سعة المهم تطبيق مبدأ حرية الاختيار وعدم سلبها إرادتها. لا شك أن للمرأة خصوصيتها ولكن الحياة المدنية أعطتها حق الاختيار بما يناسب طاقاتها ومتطلبات التنمية في مجتمعها فلم نوجه الفتيات نحو وظائف دون أخرى؟ لاحظ الباحثون "ضعف مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي، واقتصار الأعمال التي تزاولها، في أغلب الأحيان، على مهن محدودة مثل التدريس والتمريض وبعض الأعمال المكتبية البسيطة" (مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ٢٠٠٤م، ص ٢١، القديمي، ٢٠٠٩م، ص ٢٦٧) مما فتح الباب واسعا لجلب العمالة الأجنبية لسد النقص ومعالجة الاختلال الناتج من موروثات اجتماعية راکدة.

لا زالت توجهات الطرح المحافظ (كما يقال) نحو قضايا المرأة بارزة وقد تتسم بالغلو والجمود والتقليد والتمسك بتراث التراجع الحضاري حيث يجعل بعضهم من العادات والتقاليد ديننا ويرى المرأة مجرد متعة ومعمل لتفريغ النسل لبقاء النوع الإنساني ولا يسمح لها بأي مشاركة في المجال العام (الشلقاني، ٢٠٠٩م، ص ٤٥) إلا بحدود ضيقة.

وإذا كان بعض سلفنا الصالح قلل من قيمة عقل المرأة نظرا للسقف المعرفي المحدود والتشيع بعادات متناقضة فإن فئة من الباحثين اليوم تصر على السير في الطريق نفسه وبينما الأمم تغرس في طلابها الثقة في النفس فإن بعضنا ينادي برؤية معاكسة تماما. يؤكد باحارث -أحد المتخصصين في أصول التربية الإسلامية- أن "الإناث أقل قدرة على تعلم المفاهيم الجغرافية من المذكور". وفي دراسة أكاديمية متخصصة في التربية يؤكد باحارث (٢٠٠٧م) على جملة من المفاهيم مغايرة تماما لما استقر عليه التربويون ففي توثيق المعلومات يُطالب بوضع اسم الرجل قبل اسم المرأة إذا كانت الفقرة في المتن مستنبطة ومركبة من عدة مراجع، فعلى سبيل المثال نكتب أحمد الصمادي قبل عزيزة المانع لأن الرجال قبل النساء. ويطلب باحارث أيضا بمنع ابتعاث الفتيات للخارج لأي مرحلة تعليمية كانت، ولأي تخصص كان (ص ١١، ١٦٨، ٢٧٥). ويؤكد على ضعف إنتاج الإناث الفكري بسبب التكوين الخلقي والبيئة الاجتماعية وأن سبب بروزها اليوم علميا قد يكون من علامات آخر الزمان (ص ٨٧-٨٨). وإذا كان باحارث يؤكد على تأخير اسم المرأة فإن القرآن الكريم لا يخدم مثل هذا الفهم الديني الغريب إذ القرآن

قد يقدم الإناث على الذكور حسب ما يقتضيه السياق؛ قال تعالى "يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ" (الشورى: ٤٩) . وهنا قدم الإناث على الذكور وذكر الإناث بصيغة النكرة وهو ما يقال له في لسان العرب "تنكير التعظيم" إشعاراً بالأفضلية؛ أن يُرْزَق المرء بالإناث (الخياط، ٢٠٠٩م، ص ١٣٨).

وإناء الماضي السليبي لم ينضب بل ينضح اليوم بعبارات لا تليق ومن ذلك أن النساء أسفه النساء وذلك لنقصان عقولهن وطيشهن وضعف رأيهن في العموم فلا تستشار المرأة إلا في نطاق محدود لندرة إصابتها في الرأي كما ذهب الجويني إمام الحرمين وغيره كثير (عثمان، ٢٠٠٨م، ص ٣٤، ٣٧، ٥٣، ٦٤، المدخلي، ٢٠٠٤م، ص ٥١، الشثري، ٢٠٠٧م، ص ٢٢). هذا غيظ من فيض هادر لم يغادر ذهن كثير من الذكور منذ أقدم العصور وما أشبه الليلة بالبارحة!

وإذا كان البعض قد يلتمس بعض العذر لمن سبق من العلماء في تمييزهم ضد المرأة فما عذر من يفكر بعقلية القرون الغابرة مع أنه يعيش في عصر تقدم العلوم ومناهجها؟ وامتد هذا التحيز المباشر ضد المرأة إلى عقر دار الصروح الأكاديمية فالمباني العصرية والمؤسسات التعليمية الأكاديمية قد تشوه أو تشوش الحقائق في عقول الناشئة وتزودهم بفكر يميل إلى الانكسار والإذلال وتشويه الذات. ذكر الفيضي (٢٠٠٦م) أن موسوعة من الموسوعات المعاصرة في الأخلاق تبث قيماً منحازة للذكور وتقلل من قدر المرأة، وتعتبر الموسوعة نفسها أنها تقدم قيماً إسلامية (ص ٩٩). وجاء في دراسة أكاديمية أن أول وأهم خصائص المرأة ما يلي: (العوج الجبلي، والغيرة الجبلية، ونقصان العقل والدين) (الحديري، ١٤١٨هـ، ص ٣٥٠-٣٦١، الحصين، ٢٠٠٠م، ص ٤٤) هذه فقط أهم الخصائص. ويعتقد بعض التربويين الأفاضل أن الإسلام والذكورة من السمات الأساسية في القائد الإداري التربوي من المنظور الإسلامي (الأحمد وأبو علي، ٢٠٠٩، ص ٢٩١). تلك خصائص المرأة التي على ضوءها سيتعامل المربي مع الفتاة والزوج مع زوجته والحاكم مع رعيته... إنها خصائص تتناقض مع أبسط حقوق الإنسان وهي أفكار تقليدية نابعة من تصور قاصر مشوهه أو تأثر بالوضع الاجتماعي السائد.

وبعض التوجيهات الدينية تشجع فكراً تعليمياً لا يتفق مع ما تصبو إليه التربية الحديثة. يقول أحد العلماء "فالذي أراه أن المرأة إذا أنهت المرحلة الابتدائية، وصارت تعرف القراءة والكتابة، بحيث تنتفع بهذا العلم في قراءة كتاب الله وتفسيره، وقراءة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وشرحها، فإن ذلك كاف؛ اللهم إلا أن تترقى لعلوم لا بد للناس منها؛ كعلم الطب وما أشبهه (ابن عثيمين، ٢٠٠٨م، فتاوى المرأة المؤمنة، ص ٣١٥). لا زال الكثير من أتباع الخطاب الديني الحديث يرى أن التعليم الجامعي للبنات غير أساسي (فلية، ٢٠٠٨م، ص ٢١٧).

وفي إطار تقليص حركة المرأة يؤكد علماء الدين على حق الرجل في منع زوجته من استعمال الهاتف، ومقاطعة الكوافيرات، ومنعها من لبس البنطلون مطلقا حتى أمام زوجها لأنه تشبه بالرجال، وإذا كان الشعر كثيرا على الحاجب بحيث ينزل على العين فيؤثر على النظر فلا بأس بإزالة ما يؤذي منه (ابن العثيمين، ٢٠٠٨م، الحلال والحرام في الإسلام، ص ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٣، ص ٣٥٨). وصل الأمر أن المعلمة قد تتعرض للوائح وتعاميم مدرسية تحد من حركتها وحريتها الشخصية في بعض المجتمعات العربية حيث يطلب منها لبس العباءة ويتم تقييم حاجي المعلمة ضمن درجات تقييم أدائها الوظيفي فالحواجب المهملة تأخذ الدرجة كاملة والتي تهدب حواجبها تنقص درجاتها بغض النظر عن كفاءتها كعالمة وهكذا طغت الشكليات على التعليم (الحشر، ٢٠٠٧م، ص ٩٧، ١٦٨، ٢٣٩).

ومن الغريب أيضا أن يطالب أحد الكتاب بمنع البنات من الخروج وحدهن سواء للسوق، أو للطبيب، أو غير ذلك، ويرى أنه لا بد من وجود المحرم معهن، وألا يخرجن إلا للحاجة الملحة مع وجود المحرم وإذا كان الرجل يستحي من النزول مع محارمه فليذهب بهن إلى الأسواق الخاصة بالنساء، أو يذهب بهن إلى بلدة قريبة من بلدته، وينزل معهن؛ حيث لا يعرفه أحد هناك ثم وباسم التربية الإسلامية يتدخل المؤلف في خصوصيات حياتية منها التحذير من الأسماء الغرامية الرخوة المتخاذلة مثل: أحلام، أريج، تغريد، غادة، فاتن، هيام ويحذر من التسمي بها (الحمد، ١٩٩٧م، ص ٢٧-٢٨-٨٨).

إن حقوق الرجل على المرأة ومواعظه (الغيورة) قد تتحول في الواقع والممارسة إلى قيود اجتماعية يتم تحميلها دينيا لتكبييل حركة المرأة والتحجير عليها وتقليص مداراتها وحرمانها من أبسط حقوقها في الاختيار والحركة والتفكير والتحمل. لقد تغير العقل المسلم وتحرر من بقايا الأغلال وزالت كثير من المظالم التي وقعت على المرأة المسلمة ولكن لا زالت عقلية الشك بمسلك المرأة والقلق من طاقاتها القيادية والارتباب بقدراتها الفكرية الخلاقة تلاحق وقد تلاصق أذهان الكثيرين في مجتمعاتنا ممن لازالوا يتحدثون بمفردات ومناهج ومواضيع وغايات لا صلة لها بالعصر ولا مقاصد الدين ولا حقائق الحياة.

يقرر محمود قمبر بعد سلسلة واسعة من الدراسات التراثية النقدية: "لقد ظل التعليم للأسف - طوال عصور متعاقبة في التاريخ وبامتداد الأرض الإسلامية - ظاهرة رجالية، ولم يستسغ المسلمون أبدا فكرة أن تتعلم المرأة، وأن تعلم المرأة".

إن حرمان المرأة من دخول الأزهر والمستنصرية والبيهقية والنظامية والزيتونة... كمتعلمة ومعلمة لعدة قرون شكل العقل المسلم تشكيلاً سلبياً وليس من السهولة التخلص من تلك العقدة القديمة والرواسب السلبية التاريخية التي تؤثر في الوعي الجمعي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلا بدراسات نقدية ومواقف شجاعة وانفتاح على معطيات العصر وتجلية الأصول الإسلامية في أن النساء شقاء الرجال.



عصر الحریم لا يزال حیا یرزق فی عقلنا الباطن (المسعودي، ٢٠٠٠ م، ص ٩٠، الوشمي، ص ٩٦). يقوم الخطاب التقليدي المتشدد اليوم بتزييف وعي المرأة وإبعادها عن العمل المجتمعي والمطالبة بعودتها للمنزل دون فهم التناقضات المجتمعية فعودة المرأة للمنزل حل آني لأزمة البطالة في المجتمع (فلية، ٢٠٠٨ م، ٢١٩). نحن أمام النظرة الدونية للمرأة كمجرد جسد حيث التزمت في فهم الشريعة الإسلامية، تتحول المرأة إلى رمز للخطيئة ومصدر الدمار الأخلاقي، وإلى مجرد عورة ومنعها من أن تلعب دورها في بناء مجتمعها (الربيعي، ٢٠٠٥ م، الولي، ٢٠٠٩ م، ص ١٨٠).

يرى عبدالمعتم إبراهيم (٢٠٠١ م) في كتابه تربية البنات في الإسلام أن المرأة اليوم مطالبة بعدم الخروج من بيتها إلا لضرورة (١٣٣). يتحدث هؤلاء عن المرأة بمفردات وآراء لا ترتبط أبدا بالمجتمع المدني وحقوق المرأة الأصيلة في العمل والترفيه والاختيار والمواطنة وتحمل المسؤولية في الموازنة بين بيتها وحركتها المجتمعية إذا قررت واختارت العمل.

هل الأصل انحباس المرأة وراء الأسوار المنزلية والخروج منه للضرورة فقط أم أن الأصل خلاف ذلك؟ يؤمن عدد غير قليل من المفسرين والفقهاء اليوم بأنه يتعين على النساء أن لا تخرجن من البيوت إلا لحاجة، وهو خطاب لأمهات المؤمنين ولنساء المؤمنات في كل عصر. وهذه رؤية تقيد حركة الإناث بل تشلها فرغم أهمية البيت فإن العمل في سياق احتياجات المجتمع ورغبات الفرد والسياحة في الأرض وتعميرها والاستمتاع بمباهج الحياة من أطيايف الحياة الطيبة للرجل والمرأة.

وعلى ضوء كل ما سبق فإن المشكلة هي أن أفق كثير من المعاصرين "من علماء الدين غير بعيد عن أفق الماضين، فالمعاصرون يعزلون أنفسهم عما تنتجه الحضارة الفكرية البشرية الحديثة. الكثير من أقوال المعاصرين في شأن المرأة ما هو إلا اجترار لأقوال الماضين وشرعنة النظرة السلبية للمرأة" (الخباز، ٢٠٠٩ م، ص ١٣١، ١٣٣). ومن الطبيعي جدا أن يتأثر الميدان التربوي والعمل البحثي بما سبق مما يؤخر التنمية الحقيقية ويقلص مساحة الحريات الإنسانية.

### دور التربية

دور التربية هو إزالة العوائق التراثية المانعة لتعليم المرأة مع التوجيه الإيجابي نحو بناء شخصية الأنثى وفتح كل المعابر الكفيلة بتنميتها وحسن تعليمها ولا يتم ذلك حتى تكشف الحقائق ونرفض كافة صور الوصاية وهميش المرأة التي تتمسح باسم الدين أو الحداثة أو العادات. وعلاوة على ذلك يجب أن نتمسك بكل ما هو صحيح صريح في ديننا الإسلامي العظيم ونقبل ونطور كل ما يسير على نهجه المستقيم من محاسن تراث السابقين وخبرات الإنسانية، فمن المستحيل أن الأحكام الدينية الصحيحة الصريحة القطعية الدلالة تتعارض مع حرية وكرامة المرأة والإسلام دين العلم والعدالة والمساواة والكرامة. وكما يقول ابن تيمية صريح المعقول مطابق لصحيح المنقول. التربية الإسلامية تجعل من آيات القرآن

وأحاديث السنة منبع القيم الحميدة، والمعايير السديدة، والأحكام الرشيدة. والقاعدة الأصيلة للمربي المسلم أن كل ما خالف ذلك الهدى من موروثات جائرة فهو مردود.

التربية الحققة هي القوة القادرة على تخفيف منابع التطرف وتقليص آثار الموروثات البالية التي تكرس تهميش المرأة والتمييز والاستغلال. إن استنكار ومنع جميع الممارسات المؤذية والضارة تجاه المرأة هدف التربية المعاصرة وصولاً إلى تمكينها كشقيقة للرجل تتمتع بكامل حقوقها وعلى رأسها حق التعليم بلا حدود. أصبحت التربية بلا حدود Education without Frontiers ضرورة من ضرورات التربية المعاصرة ولكن للأسف بعضنا يصبر على تحديد تخصصات معدودة لدراسة المرأة وهذا طرح يجنح للتقييد، ويقوض مبدأ حق الاختيار، ويتنافى مع مقاصد الدساتير التي تؤمن بالمساواة.

إن التربية القويمة قادرة على أن تقارع العوائق بنشر محاسن التراث وتبصير الناشئة بغوائله. يميل بعض الباحثين إلى أن ابن رشد "أول من تنبه إلى خطورة تأويل النصوص الدينية للحجر على المرأة داخل المنزل وحرمانها من خوض تجارب التعلم والعمل لأن المجتمع كله يدفع الثمن فقراً معرفياً ومادياً. لقد أدرك ابن رشد أن صورة المرأة ككائن إنساني حر عاقل مؤهل لكل الأعمال الذهنية والعملية لا تتطابق مع صورتها في الواقع حيث تهيمن تصورات تقليدية متحيزة ضدها. كما أدرك أن تدني أحوالها وأحوال المجتمع من ثمة هو النتيجة المنطقية لهذه التصورات التي يتوهم الناس، أنها من قبيل البدديات التي لا مجال للشك فيها، هذا إن لم يقال لهم أنها من قبيل المقدسات التي لا يجوز لأحد التشكيك فيها" (الزهراني، ٢٠٠٧م، باختصار). هذه الرؤى والمقاربات غدت ذات قيمة كبيرة في مجتمعات تحتكر الفكر وتناصب المرأة العداء باسم الدين وغيره.

وفي عالم الأدب فإن النقد الثقافي يدفع المربي إلى أن يحرص على سلامة المبنى والمعنى في النصوص والناشئة بحاجة للأدب الراقي الداعي لتمكين الإنسان وتوسيع نطاق حريته. قال جميل الزهاوي:

لولا النساء لمابا  
وليس يُجمع إلا  
على الشعوب بمرقى  
ن للحضارة شـكل  
بهن في الـمدار شمـل  
نسائها يُستدل

وقال:

إنما المرأة والمرء سواء في الجدارة  
علموا المرأة فالمرأة عنوان الحضارة

إن فلسفة التربية في بعدها الاجتماعي تتمثل أهدافها في تحرير الإنسان من قيود العادات وأغلالها (خنيفر، ٢٠٠٧م، ١٠٦). إن بعض العادات أكثر رسوخا من التوجيهات الأخلاقية الإسلامية مثلا العرف السائد مؤخرا يحكم بأن ذكر اسم الزوجة أمر مشين (مهريزي، ٢٠٠٨م، ص ٢٢).

إن دور التربية في تشجيع المرأة على ذكر اسمها كتابة ومحادثة وممارسة وإتباع منهج الإسلام ورفض العادات السقيمة مهما كانت قديمة. وأبعد من هذا فإن دور التربية اليوم هو حث الأنثى على تقدير نعمة العقل وعدم السماح لأحد أن ينتقص من عقلها وطاقتها ورسالتها الأسرية والاجتماعية. يقولون الأم مدرسة ... والحق أنها مدرسة في بيتها ومجتمعها، ويقولون أن خلف كل عظيم امرأة والحق أن بجانب كل عظيم امرأة. ويقول لكل دولة رجال والحق لكل دولة رجال ونساء ... ليس المهم هو تغيير الألفاظ فحسب بل الأهم المضامين فالعبارات تخفي في طياتها مخزون من التصورات قد تُستخدم لتقليص الحقوق وبرمجة العقل.

أصبحت المرأة في العصر الراهن عنصرا فاعلا في حركة الحياة وفي ميادين ومستويات شتى لتواصل بذلك التقدم ما انقطع من عطائها الإنساني ونموها الخلاق مقتدية بسيرة النساء العاملات اللاتي جمعن عبر القرون بين فضيلتي الإحسان الأسري والعطاء المجتمعي.

واليوم يعتقد عدد من الباحثين المعاصرين أن تعليق أو إظهار السوط أو العصا للعقاب أمر مستحسن للأب في تربية أهل بيته استنادا للحديث النبوي "علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه أدب لهم" (الشريف، ٢٠٠٦م، ص ٩٥) ولعل الفهم الحرفي للنصوص يدفعنا لاجترار الماضي وتكريس تربية القهر دون قصد أو بقصد. إن أساليب تأديب الإنسان يجب أن ترتقي. وإذا كانت قضية ضرب المرأة وهضم حقوقها قضية عالمية وليست قضية إقليمية فحسب فإن إحياء الفضائل السلمية المستقرة في أعماق التراث وسيلة لتصويب الفكر. "قَالَ عَطَاءٌ: لَا يَضْرِبُهَا وَإِنْ أَمَرَهَا وَنَهَاها فَلَمْ تُطِعه، وَلَكِنْ يَعْضِبُ عَلَيْهَا". وقال الشافعي "وَلَوْ تَرَكَ الضَّرْبَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ". وفي الحديث "لَنْ يَضْرِبَ خِيَارُكُمْ". وفي رؤية مغايرة تماما للساحة الفقهية السائدة اليوم يذهب بعض المتخصصين في الفقه الإسلامي إلى أنه يجب منع العقاب البدني في الأسرة والمدرسة وفق قواعد الفقه المقاصدي (الكيلاي، ٢٠٠٩، ص ١٣٠، ١٣٤، ١٥٨، طي، ٢٠٠٨م، ص ٢١٦) ولا شك أن سعة ومرونة الفقه الإسلامي يقبل مثل تلك الاجتهادات العصرية. تلك مرئيات تربوية ذات نقاوة عالية حقيق بالمربين الإيمان بما من أجل التحرر من القوالب النمطية في سياق تربية وتعليم المرأة.

يمكن للتراث التربوي الإسلامي أن يلعب دورا مهما في نشر الفكر الإسلامي المستنير الذي يسعى إلى ترسيخ المساواة بين الجنسين وإعلاء شأن الحرية والعدالة والكرامة في رحاب معطيات الدين

الإسلامي وما تم الاتفاق عليه من وثائق دولية تسير نحو رفع المعاناة وزيادة قدرة الإنسان على تحقيق الذات.

الأنتى في العالم الإسلامي مهمشة في الحياة العامة (ميرزائي، ٢٠٠٨م، ٤٤) فلا بد من تضمين المناهج الدراسية صورة المرأة المستقلة العاقلة والعاملة في الشريعة والعلوم الدنيوية وسيدة الأعمال الناجحة مع تبجيل عملها في المنزل وإحسانها لأسرتها. يقول محمود قمبر "وعلى الصعيد التربوي العلمي، فإن مناهج الدراسة وبالذات في العلوم الإنسانية والاجتماعية تستدعي بالضرورة مراجعة أصولية لمضامينها المعرفية حتى تتطهر من كل الرواسب التاريخية التي حرفت المفاهيم والتصورات عن المرأة والتي لا تزال تغذي عقلية الرجل سواء في بيئته الشعبية وفي بيئته المثقفة في أوساط المتعلمين" (باختصار يسير).

ولا بد من الانتباه إلى أن تدريس مقررات جديدة، وابتكار مناهج دراسية، وزيادة العناية بالمرأة في مناهجنا يجب أن تكون على أساس تبصيرها بحقوقها وواجباتها وكشف العوائق التي تواجه الأنتى لتمكينها لا لاختضاعها وتخديرها وتكريس ما هو واقع من الدروس التقليدية النمطية التي تهاجم العادات الوافدة وتغض النظر عن العادات الراكدة والموروثات الجائرة منذ مئات السنين!!

إن فتح نقاشات رصينة عن المرأة أساس تجديد الوعي وتغيير التصورات الخاطئة عند الرجل والمرأة والمجتمع. يقول علاء الفاسي "والحق أن المرأة وحدها هي التي تستطيع أن تحرر نفسها مما كبلتها به الأجيال وما صنعتها بها التقاليد" (إزرويل، ٢٠٠٤م، ص ١٦٦). إن توعية المرأة عموماً وأهل الميدان التربوي على وجه الخصوص سبيلنا نحو رصد ومعالجة المنهج الخفي الذي يؤصل التمايز والتسلط الذكوري.

يعترف بعض المراقبين بأن حركة تحرير المرأة التي أفرزتها حضارة الغرب رغم نواقصها الجوهرية إلا أنه من الإنصاف التأكيد على أنها وفرت فرصاً جديدة تكفل للمرأة حركة مجتمعية فاعلة (خاتمي، ٢٠٠١م، ص ٢٨). إن الاستفادة من تجارب الحركات النسائية قضية مهمة في إطار تنمية الوعي مع التأكيد على الحفاظ على الهوية المسلمة.

يقول علي وطفة في دراسة عن الشواخص الاجتماعية لوضعية المرأة الاغترابية في الوطن العربي "فإن الثقافة التقليدية السائدة مازالت تقف موقفاً سلبياً إزاء المرأة وجوداً ودوراً ومصيراً. وليس في الأمر غرابة فالرواسب الثقافية، التي تضع المرأة في مواقع الدونية مازالت في أوج قوتها، ومازالت تجد ينبع تاريخية ثرة تدفعها إلى النشاط والحيوية في كل مرحلة أو حقبة تاريخية. وتضرب هذه الرواسب الثقافية جذورها في عمق الثقافة التقليدية التي تجعل من المرأة في مرتبة أدنى من مرتبة الرجل" (باختصار). وعليه فإن تنقيح الثقافة وتنقيتها وتوجيهها توجيهاً سليماً من أهم وظائف التربية لحماية ورعاية حق المرأة والرجل.

إن دور التربية اليوم هو ترقية ثقافتنا وتغيير الموروث المشوه الخاص بالمرأة ونقد التصورات السائدة الخاطئة والمعوقة وإعادة التنشئة وفق رؤية سليمة بين الجنسين. ومن المهم بلورة فلسفة مستنيرة تحرر المرأة والرجل من أسر المفاهيم المتخلفة ووضع إستراتيجية تربوية لتطبيق تلك الفلسفة (قمبر، ٢٠٠٦م، ص ٢٨٢-٢٨٣).

إن الإصلاح الذاتي - بأوسع معانية وأبعد مرامييه - هو استدعاء الوعي للنظر في واقع الأمة ومراجعة موروثاتها، ورفع الحصانة والتقديس عن اجتهادات البشر، ونزع الهالة من معطيات الغابر والحاضر مما أنتجه العقل البشري، ومواجهة اتجاهات الغلو الاجتماعي والثقافي والديني نظريا وعمليا بعيدا عن التضخيم المضل والتعظيم المخجل. شهدت العصور الإسلامية انتهاكات لحقوق الإنسان شوهدت مسيرة تربية المرأة وأعاققتها على نطاق واسع وأن الأوان أن ندرس بعناية أسباب التأخر وسر النجاح. التحيز التعليمي ضد النساء في كثير من موروثاتنا دليل على انتفاء العدالة وافتقاد القيم الإسلامية والأطر السليمة لضبط العمل التربوي في فترات تاريخية حيث كان الشك بقدرات المرأة وزعزعت الثقة بها- لتكريس سلطة الذكور وتفوقهم- يقود عقل كثير من الرجال.

يدرك المتخصصون في التربية أن التربية الإسلامية تربية ثرية مرنة وواقعية وأنها ترسخ أسس العدالة الاجتماعية للجنسين وتتيح فرصة المشاركة العادلة في الحياة العامة ولقد أصبحت قضية إنصاف المرأة وتمكينها من القضايا المهمة في أصول التربية الاجتماعية. يرى الكثير من الباحثين أن مستقبل الإسلام رهن بإعادة النظر في قضايا عديدة، منها الحريات وقضية التحرير الإسلامي للمرأة وأن التشدد كان ومازال مدخلا للأعداء لكي ينفذوا إلى خصوصيات المجتمع الإسلامي.

دور التربية في الواقع والممارسة هو إيجاد آليات فاعلة لتحرير الفرد وتنوير عقله ومناهضة كل أشكال الإقصاء وكل صنوف التمييز والتحيز والتهميش بين أفراد المجتمع ومنع إساءة استغلال القوة والسلطة والقانون ليقوم الناس بالقسط. التربية خير أداة ليقوم الناس من كل الأجناس بالعدالة وإزالة العوائق. من الأهمية بمكان محاولة تتبع مسيرة المرأة لاستنباط الدروس واستقصاء العبر التي من شأنها أن تقلل الإخفاقات وتقضي على القيود والعراقيل التربوية من جهة، وتساهم في تنمية الواقع ودفع عجلة التقدم لاستئناف المسيرة الحضارية من جهة أخرى.

### النتائج والدلالات

١. لم تسلم كتب التفسير، وشروح الحديث النبوي، والأدب والتاريخ والفلسفة -رغم عظمتها وروعيتها- من عبارات قاسية تهمش الأنثى وتعيق تقدم تعليم وتربية المرأة سواء عند السنة أو الشيعة. هكذا نجد أهمية التفريق بين النص المقدس والنص البشري الذي هو اجتهاد بشر لكن إضفاء الشرعية عليه جعل الأعراف الاجتماعية السالبة مع مرور الوقت وكأنها ثوابت دينية راسخة. إن الصور التراثية

المشركة والضخمة عن إسهامات المرأة المسلمة - وهي كثيرة جدا ورائعة إلى أبعد الحدود- لن تشفع لمن يريد أن يغض الطرف عن التحديات الحقيقية التي واجهت ومازالت تواجه المرأة المسلمة وغيرها لا سيما في حقل تربية المرأة اليوم وهي عوائق حقيقية جليلة منظورة أحيانا وخفية مستترة غالبا.

٢. لعبت الأمثال الشعبية، وطائفة من آراء الفقهاء والمفسرين والأدباء، والعادات والتقاليد، والأحاديث الموضوعية والضعيفة، وإتباع النص الحرفي للنصوص المقدسة، وعدم الالتفات للمقاصد العامة دورا مؤثرا في نشوء عوائق جمة أعاقت وتعيق تربية الأنثى. تلك الثقافة السلبية لا تقلل من شأن الأنثى فحسب بل تحصر دورها في الإنجاب وإمتاع الزوج وتغفل عن حقوقها في التنمية الشخصية روحيا وفكريا واجتماعيا وحركيا.

٣. لا مفر من تنقية التراث - الواسع المتشعب - من الكدر حيث يحتاج إلى مراجعة فكرية دقيقة ومعالجات جذرية ذكية لتتنفق مع المقاصد الجوهرية للإسلام. وجود الخلل في بعض النصوص التراثية لا يعني -بحال من الأحوال - الاستخفاف بمعطيات الماضي ومناهج البحث والتأويل والفهم عند السابقين بل هو مبرر لتنقيتها وإثرائها لا إسقاطها وتركها. المطلوب هو تطوير ما انقطع وتجديد المناهج البحثية مع الاستفادة القصوى مما قدمه سلفنا الصالح.

٤. انقسم الفكر الإسلامي إزاء تعليم المرأة إلى ثلاثة أقسام؛ قسم يمنع تعليم المرأة خشية الفتنة، وقسم يقبل تعليمها بحدود (تدرس ما هو ديني وما هو ضروري وتختار بعض التخصصات مثل العمل في التدريس ولو تكدست الأعداد ولو كان بخلاف الميول) وهذا التوجه لازال مؤثرا في عامة الناس وخاصتهم، وقسم يعتبرها شقيقة الرجل لها مثل الذي عليه حسب رغبتها وحاجة المجتمع وهو ما أخذت به معظم الدساتير الحديثة وهو توجه يلامس الصواب.

٥. يقوم الفكر النمطي المعادي لتمكين المرأة بخلط تصوراتها الشخصية وأعرافه المجتمعية باجتهادات دينية متشعبة بخطاب الوصاية لاستدراج الناس، وإرهاب من يخالفهم، وتبرير التحيز ضد المرأة. إن توفير الحصانة الدينية، والمتانة التربوية، والمناعة التعليمية خير من منع وتحريم ما أحل الله من مباحح الحياة بحجة الغيرة على المرأة وسد الذرائع، وخشية المفسدة على اعتبار درء المفسد مقدم على جلب المصالح مما ألحق الأذى بالعقل المسلم وحياة الأنثى إلى يوم الناس هذا. سياسة الحصانة خير وأبقى، والمناعة أقوى من سياسة الممانعة.

٦. إن تربية القهر تختلف عن تربية المودة والرفق والسكن والرحمة. تختلف في ألفاظها ومحتواها وغاياتها ومنهجها ودور التربية الحديثة تصحيح المسار وتصويب الخلل التراثي فالزوج ليس قاهر لزوجته، ولا حاكم عليها، ولا هي تحت سلطانه وحكمه شبه الأسير بل هما من نفس واحدة بينهما علاقة تكامل ورحمة وسكن والتعبيرات القرآنية أكثر إشراقا وأدق وأرق وأعمق.

٧. لا زالت عوائق تربية المرأة التراثية تلاحق العقل المسلم اليوم - رغم منجزات تعليم المرأة الملموسة والهائلة- بطرائق متنوعة ولكن بروح سلبية لا تختلف في حدتها عن الماضي. واقعنا اليوم فيه صدى لما مضى بكل ما يحمل من أسي. لازالت الأفكار السلبية في التراث تعيش في عقول فئة غير قليلة من العلماء والباحثين في الجامعات وعند الدعاة الذين يحملون الناشئة على الإيمان بما فيكتبون للعامّة والخاصة عن زلة أمنا حواء في السماء (كما يزعمون)، وعن النساء كأسفه السفهاء، وعن طبيعة المرأة الشهبانية الشريرة، وعن آراء يتم عرضها على أنها نهج السلف الصالح. إن فكرة تجريد المرأة من الصفات الإيجابية فكرة موجودة في عصرنا الحاضر وواقعنا المضطرب وبعض الكتابات الإسلامية اليوم تقيد حركة المرأة بصورة سيئة وهي نابعة من فهم غير سليم للنصوص الدينية.

٨. لا زالت دعوات عودة المرأة إلى قعر بيتها على طريقة الموروثات الجامدة المتسلطة تجدد أحيانا تفاعلا مجتمعا لتقليص ميادين دراسة الفتاة وعملها وحركتها. تلك المفاهيم التراثية تهدد مسيرة فئات غير قليلة من النساء فالمرأة في دائرتهم الضيقة لا ترتقي لتصبح فقيهة في مجامع علمية، ولا سياسية محنكة، ولا قاضية عادلة، ولا سيدة أعمال، ولا إعلامية مرموقة، ولا مهندسة معمارية، ولا مديرة شركة، ولا مبدعة في الفنون الجميلة. تلك الوظائف وغيرها في منظورهم تتناقض مع قدرات المرأة أو أنها تتعارض مع ولائها للأسرة وهذا مفهوم خاطئ جملة وتفصيلا، ومخالف لحقوق الإنسان في التعلم والعمل والحياة الكريمة.

٩. تحرير طاقات المرأة والتخلص من التصورات الذهنية السلبية وكشف مظاهر النظرة الدونية للمرأة هي تربية نحو العزة ولا تبرز قيمتها من غير غرس الإرادة والعلم وبما تحصل المرأة على المطالب العالية بروح معطاءة في كل المجالات والمستويات.

١٠. كرم الله المرأة فكرا وروحا وخلقها في أحسن تقويم. فكرة خطيئة حواء عقيدة غير سليمة وعقدة قديمة عديمة الفائدة رغم انتشارها وتغلغلها في كثير من الكتب الإسلامية قديما وحديثا تحت اسم إرث السلف. حواء رمز حياة طيبة ومن البر بها والوفاء لها أن نزرهها من خيانة الخيانة ونقوم بموضوعية بتوجيه فهم الأحاديث النبوية حسب محكماتها وتفنيده الأباطيل المعهودة.

١١. تحليل المواقف التراثية في مجال تطور تعليم المرأة يبرز بوضوح ضبابية بعض المواقف والكتابات الدينية حيث تعاني من تأخر ذهني وهيمنة ذكورية يحجبها من مراجعة توجهاتها المتشددة مما يسبب للجميع حرجا بالغا، واضطرابا ملموسا، وتشوها معرفيا مما يعطل أو يؤخر تقدم المجتمع ويبدد الجهود الإصلاحية ويمزق الوحدة الوطنية.

١٢. قد يكون ابن رشد من أوائل من انتبه إلى خطورة الموروثات الدينية السلبية فهي -قديما وحديثا- أداة سيئة لتقليص تقدم المرأة وعزلها في البيت وتربيتها تربية محدودة. وما سبق يسبب حرمانها

من توسيع مداركها، وحجبها من تخصيص تجاربها، ومنعها من الارتقاء بالوعي العام وتعزيز التنمية المجتمعية.

١٣. ثمة مرئيات تربوية تمثل التراث التربوي الإسلامي الأصيل في التعامل مع المرأة تحقيق بالمربين والباحثين من الجنسين الالتفات إليها، والتوسع فيها، وبثها إيماناً وعلماً وعملاً وإبداعاً في ثقافتنا الراهنة من أجل التحرر من القوالب النمطية القائمة على نزعة التسلط.

١٤. للمرأة في رحاب التربية الإسلامية الحق الكامل في التعلم والعمل والحركة والتحمل والمشاركة المجتمعية بكافة مجالاتها ودرجاتها بما يحقق ذاتها، وينفع مجتمعتها، ويعكس سماحة دينها. وبهذه المرئيات والإفادات والركائز الفكرية مجتمعة نتجاوز عقبات تربية البنات ونعدهن حقاً للاستمتاع بالحياة الطيبة بالإيمان والعمران.

### التوصيات

١. بلورة فلسفة مجتمعية متجددة ومستنيرة لتمكين المرأة والرجل وتحريرهما من أسر المفاهيم السلبية والموروثات الخاطئة ووضع إستراتيجية تربوية لتطبيق تلك الفلسفة وإحياء محاسن التراث مع تكاتف جميع وسائط التنشئة الاجتماعية في تحقيق تلك الغاية. والخطوة الأولى في ذلك تضمين هذه الرؤية في فلسفة وزارة التربية وإستراتيجياتها.

٢. عمل دورات تدريبية تربوية للتوعية بخطورة التحيز ضد المرأة وكيفية التعامل الواعي مع الصورة النمطية للمرأة في كثير من الكتب التراثية عبر إيقاظ الحس النقدي مما يؤدي إلى رفاء الأديبات التربوية المعاصرة.

٣. إبراز التراث الإسلامي الأصيل الذي يعلي من شأن المرأة فكراً وعملاً وحركة وتفعيل النظر فيه والإفادة منه وتوظيفه في الواقع وبناء حقل لدراسة معوقات تنشئة المرأة وسبل تمكينها على نحو حضاري يعتز بالإسلام ديناً.

٤. تطعيم المناهج الدراسية بأنشطة تعليمية مدارها كشف المعوقات الدينية والثقافية والاجتماعية التي واجهت عملية تعليم المرأة وطرائق تحريرها من الموروثات السلبية قديماً وحديثاً.

٥. ضرورة تنقية المناهج الدراسية من الرواسب التراثية المتحيزة ضد المرأة والتي لا تزال تكرر سلطة الرجل وتفوقه. يتعين على المربين توجيه الكتب المدرسية والجامعية لتنمي حس الفتاة كمواطنة لها حقوقها الدستورية فهي شقيقة الرجل وصنوه وتمتلك مواهب وطاقات مازالت معطلة في مجالات شتى.

٦. توجيه البحث التربوي لتلمس حاجات وتطلعات المرأة وإبراز جهود المصلحين عبر القرون في تحرير المرأة من قيود التزمّت في ضوء المبادئ الإسلامية السمحة، ومعطيات العلوم الإنسانية المتنامية، ومقاصد المواثيق الدولية المتفق عليها، والنافع المفيد من التجارب النسوية حول العالم.



٧. توجيه فلسفة وسائل الإعلام وبرامجها لتحديد الخطاب الدعوي والوعي التربوي والمشهد الثقافي عبر تنقية الأمثلة الشعبية والتصورات الدارجة من العبارات التراثية وغيرها التي تقلل من شأن المرأة وعقلها وطاقاتها وبث المعاني الإنسانية الرفيعة والقيم الإسلامية التي تبني الذات الطموحة.

### ملحق: منشورات

- قال الأزهري في تهذيب اللغة "العرب تكفي عن المرأة بالعتبة والنعل والقائورة. والبَيْتِ والدُمِيَّةِ والغُلِّ والْقَيْدِ". وفي كتاب نثر النظم وحل العقد للثعالبي " عمر رضي الله تعالى عنه المرأة نعل يلبسها الرجل إذا شاء لا إذا شاءت هي".

- وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

لكل أبي بنت يرجي بقاؤها      ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهر  
فبيت يغطيها، وبغل يصوئها      وقبر يُوارِيها، وخيرهما القبر

- السبيل هو أن نهض بكل طاقتنا الفكرية لآحياء الأدب العربي الأصيل الذي يعلي حقا من قدر المرأة ويعطي الأنوثة رونقها. وهذه الخطوة لا تستغني عن تقديم أدب عربي يضع المرأة موضعها الحضاري الصحيح كي نضبي الدرب للناشئة أولا ولكي نرشد كل من ضاع وتاه في خضم الموجات العاتية التي أصابت تراثنا الفكري عبر قرون طويلة.

- قال جبران خليل جبران : أنا مدين بكل ما هو (أنا) إلى المرأة مذ كنت طفلا حتى الساعة. و لولا المرأة الأم والمرأة الشقيقة والمرأة الصديقة، لبقيت هاجعا مع هؤلاء النائمين الذين يشوشون سكينه العالم بغطيطهم.

"قال قالت عائشة:

-دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف وقد نفست وأنا منكسة فقال لي أنفست فقلت نعم يا رسول الله ولا أحسب النساء خلقن إلا للشر فقال ولكنه شيء ابتلى به نساء آدم. (مسند الإمام أحمد. المجلد السادس. حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

- "كرس العرف الاجتماعي عبر تعاقب السنين في عالمنا العربي فكرة أن المرأة سلعة معروضة للبيع يدفع الرجل ثمن شرائها وهو ما تبينه بعض التعابير الشعبية من مثل قول المرأة عن مهرها إنه "حقي وعتيقة رقبتي" باعتبار المهر هو المقابل المادي لحرية المرأة وثمنا لرقبتها أي ذاتها. لذلك لا بد من توعية ثقافية إسلامية للمجتمع لتصويب النظرة إلى المرأة . ومن غرائب الأعراف أن البعض في السابق إذا حصل

الطلاق ثلاث مرات وكفي تحل لزوجها الأول مجدداً تغطس المرأة في البحر عدة مرات (فضل الله، ٢٠٠٥م، ص ٢٠٤، ٢٠٦، ص ٢٦٢).

يقول السيد محمد حسين فضل الله «يفتي أكثر علماء السنة والشيعة أن بإمكان الرجل أن يسجن زوجته سجناً مؤبداً مع تقديم كل ما تحتاجه. نحن نختلف غالبية الفقهاء في هذا الرأي ونرفض القول بشرعية ذلك» (ص ٩٢).

- يؤكد زكي لطفني (٢٠٠٥م) على أن المرأة المسلمة غدت إنسانة مسحوقة الحقوق، مغيبة الذات، مظلومة الأنا، وإلى هذا العصر تعيش المرأة في ظل نظام سياسي واجتماعي وديني قمعي لا نظير له وبمبررات دينية تلقى القبول والمصادقية من قبل القوى المختلفة المكونة للمجتمع الإسلامي. من خلال استعراض بعض من المنزقات الفقهية نلمس بوضوح تام كيف إن المرأة في ظل النظام الديني والفقه الحالي ليست سوى كائن أنساني مغبون الحقوق، إنسان تحت الوصاية، ليس له من الأمر شيئاً، سأسلط الضوء فقط على نظام المرأة الفقهي عند الشيعة تاركاً الباب مفتوحاً للآخرين لينبشوا مأساة أخرى في ظل انتماءاتهم المذهبية المقابلة! وعن وضع المرأة الحقوقي في مؤسسة الزواج: يقول الشيخ الطوسي «للأب أن يزوج ابنته الصغيرة بعبد، أو مجنون، أو مجذوم، أو أبرص، أو خصي» يقول الإمام الخميني في وسيلته: «لا يجوز وطء الزوجة قبل إكمالها تسع سنين، دوماً كان النكاح أو منقطعاً، وأما سائر الاستمتاع كاللمس بشهوة والضم والتفخيد فلا بأس بها حتى في الرضيعة».

- في بلادنا العربية اليوم تتبدد أحلام الطفولة عند بعضاً فتزوج بنت عمرها ثمان سنوات رجلاً عمره ثمانين سنة (بدير، ٢٠١٠م، ص ٦٤).

- وفي المذهب " والمرأة ممنوعة من مجالسة الرجال، لما يخاف عليهم من الإفتان بها".

- وفي اليونان "يجب أن يجبس اسم السيدة المصونة في البيت كما يجبس فيه جسمها". وفي تراث الهند "كن منهن على حذر تام". (ديورانت قصة الحضارة، ج ٣ ص ٧٧).

- نشر موقع إسلام أون لاين مقالاً حول "جدل يتسع في السعودية أثارته فتوى الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك (٧٧ عاماً) بجواز قتل مبيح الاختلاط في العمل والتعليم، على اعتباره أنه "كافر لكونه يستحل المحرمات". وقد عكست هذه الردود تحفظاً على الفتوى، حيث اعتبرها أحد رجال الدين "رأياً متشدداً"، فيما انتقد آخر تصدي أفراد وليس المجالم الفقهية المعترف بها لمثل هذه القضايا الجدلية" (٢٤ فبراير ٢٠١٠م).

- قال ابن القيم في زاد المعاد "وليحذر جماع العجوز والصغيرة التي لا يوطأ مثلها والتي لا شهوة لها والمریضة والقبیحة المنظر والبغیضة فوطء هؤلاء يوهن القوى ويضعف الجماع بالخاصة".

- قال القرضاوي (٢٠٠٨م) ويجب أن نعترف أن بعض المدارس الإسلامية يتبنى تياراً متشدداً ضد المرأة ويريد لها لا تخرج من منزلها إلا مضطرة... ولا علاج لهذا الخلل إلا بنصرة تيار الوسطية الإسلامية (ص ١٨٧).

- "إن عقل المرأة راجح وعميق ولا يقل أثراً عن عقل الرجل وهذا يهدم الفكر السائد عبر القرون في أن العقلية النسائية ضعيفة وناقصة" (إمام، ٢٠٠٩م، ص ١٣، ٢٥٥). يستشهد إمام عبدالفتاح بالآية التالية لإثبات رجاحة عقل المرأة {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ} النمل ٣٢. العقاد (إمام، ٢٠٠٩م، ص ١٣).

- قال محمد حسين فضل الله "إنَّ هناك مشكلةً معقَّدةً في ذهنية الكثيرين من الناس من إسلاميين وغيرهم، وهي أنهم ينظرون إلى المرأة كما لو كانت كائناً جنسياً يفتح على الحياة من موقع الانفعال الجنسي في طبيعته الغريزية، وفي نتائجه التناسلية، وبذلك تختصر حياتها في هذه الدائرة، على مستوى الالتزامات الأخلاقية والعلاقات الاجتماعية والنوازع الذاتية، فلا مجال عندهم لأيِّ تصور ينطلق بالمرأة نحو الأبعاد الإنسانية الواسعة كإنسان يملك طاقات فاعلة فيما يمكن أن تمنح الحياة فكراً وحركةً وانطلاقاً في عملية الإبداع، بل ربما تجذب البعض يسخر من هذه الفكرة ويعتبرها نوعاً من أنواع المزاح، أو التفكير الخيالي الذي لا يملك أيِّ إمكانات واقعية في الحياة."

- قال محمد حسين فضل الله "الإسلام لم يمنع الاختلاط بين الرجال والنساء، إلا في الدائرة التي تؤدي إلى الانحراف الأخلاقي، أما الاختلاط المتوازن الذي يضع الحدود الأخلاقية في نطاق متوازن، فإنه لا يتعد عن الإباحة الشرعية على أساس التربية الإسلامية التي تعمل على تأكيد الالتزام الإسلامي في شخصية كلِّ من الرجال والنساء."

قال حسين فضل الله "إن القرآن يقدم لنا المرأة في صورة ملكة سبأ كإنسان تملك عقلها ولا تخضع لعاطفتها، لأن مسؤوليتها استطاعت إنضاج تجربتها وتقوية عقلها، حتى أصبحت في مستوى أن تحكم الرجال الذين رأوا فيها الشخصية القوية العاقلة القادرة على إدارة شؤونهم العامة. وإذا أردنا استنطاق هذه الصورة، فإنها تدلُّ على إمكانية انتصار المرأة على عوامل الضعف الأنثوي الذي قد يؤثر تأثيراً سلبياً على طريقتها في التفكير أو في إدارة المواقف، ما يوحي بأن الضعف ليس قدرها الذي لا تستطيع التخلص منه."

"وفي العصور المتأخرة، وفي العصر الحاضر، نجد التجربة الإنسانية في العلم والثقافة والحركة السياسية والاجتماعية تقدم لنا الكثير من النساء اللاتي استطعن أن يؤكدن وجودهن وتجربتهن الرائدة المعبرة عن مواقع القوة الإنسانية الدالة على قدرة المرأة على التحدي والثبات والإبداع في مختلف المجالات العامة والخاصة، ما يوحي بوجود نوعٍ من التوازن في القدرات الإنسانية في الظروف المشتركة بين الرجل والمرأة."

- من القضايا الشائكة في الفكر الإسلامي إشكالية تعليم البنات ( Ould Bah, 1998, P. 138) فلقد "تغيرت النظرة الواثقة للمرأة (كما كان في عهد النبوة) لتصبح أكثر ريبة وتشددا في ظل غياب الأزواج شبه الدائم في ميادين المعارك" (الشطي، ٢٠٠٥ م، ص ٣٦)، وبلغ الأمر إلى أن أصبح "تعليم المرأة معصية" وساد هذا الأمر لعدة قرون كما قال الشيخ محمد الغزالي في مقدمة كتاب تحرير المرأة في عصر الرسالة لمؤلفه عبدالحليم أبو شقة (١٩٩٩ م، ج ١، ص ٥). ولهذا قال أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٧٨ م) "لا نُهضة للشرق إلا بنهضة المرأة" (الجنحاني، ٢٠٠٥ م، ص ٦٢). وقال جميل صدقي الزهاوي (١٢٧٩ - ١٣٥٤ هـ / ١٨٦٣ - ١٩٣٦ م):

لا يرفع الشعب من أعماق وهدته إلا رجال أولو عزم ونسوان

للمرأة الفضل في العمران نشهده لولا تقدمها ما تم عمران

فإنما هي للأبناء مدرسة وإنما هي للآباء معوان

وإنما هي للمفجوع تعزية وإنما هي للمحزون سلوان

وإنما الروض مطلوباً له أرج وإنما لجنى الأثمار بستان

- وقالوا " وَصَلَّحُ الْمَرْأَةِ فِي الْبَيْتِ " وقال " مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يَقُولُ: لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ مَنْزِلَةَ الصَّادِقِينَ حَتَّى يَتْرَكَ زَوْجَتَهُ كَأَنَّهَا أَرْمَلَةٌ، وَيَأْوِي إِلَى مَزَابِلِ الْكِلَابِ (الذهبي، ٢٠٠٨ م، ج ٨ ص ١٧٤).

- أمر أحد الخلفاء بمنع "النساء من الخروج من بيوتهن ليلاً ونهاراً، فأقاموا سبع سنين" (ابن دقماق<sup>١</sup>، ١٩٨٢، ص ٢٠٥، الذهبي، ج ١٥ ص ١٧٥، ابن العماد، ج ٥، ص ٦٢).

- أم الدرداء شرط عليها زوجها أن لا تتزوج فقيل لها بعد وفاته صومي.

- أما سعيد بن المسيب فيزوج تلميذه ابنته بعد وفاة زوجة تلميذه وبعد أن يضرب من الخليفة عبداً الملك، لرفضه تزويجها لابنه الوليد. يقول سعيد لزوج ابنته بعد الزفاف: مَا حَالُ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ؟ قُلْتُ: خَيْرٌ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، عَلَى مَا يُحِبُّ الصَّادِقُ، وَيَكْرَهُ الْعَدُوُّ. قَالَ: إِنَّ رَأْبَكَ شَيْءٌ، فَالْعَصَا. (سير أعلام النبلاء للذهبي).

- والعجيب أنه بالرغم من هذه الغيرة على المرأة بحيث لا ترى ولا يسمع لها صوت، فإنها ليس لها كرامة عندهم، حتى إن المحدث إذا حدث جليسه وجاء ذكر المرأة قال له: أكرمك الله. ولم يقلها لمخاطبه عند ذكر الحشرات" (يوسف القناعي: صفحات من تاريخ الكويت، ص ٧٢، ٧٣).

<sup>١</sup> ابن دقماق توفي سنة ٨٠٩ هـ = ١٤٠٦ م.

-عَنِ الْمُعِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: لَقَدْ تَزَوَّجْتُ سَبْعِينَ امْرَأَةً، أَوْ أَكْثَرَ. أَبُو إِسْحَاقَ الطَّلَقَانِيُّ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، قَالَ: كَانَ تَحْتِ الْمُعِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ. قَالَ: فَصَفَّهِنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: أَنْتُنَّ حَسَنَاتُ الْأَخْلَاقِ، طَوِيلَاتُ الْأَعْنَاقِ، وَلَكِنِّي رَجُلٌ مُطْلَاقٌ، فَأَنْتُنَّ الطَّلَاقُ. ابْنُ وَهْبٍ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ، قَالَ: كَانَ الْمُعِيرَةُ نِكَاحًا لِلنِّسَاءِ، وَيَقُولُ: صَاحِبُ الْوَاحِدَةِ إِنْ مَرِضَتْ مَرَضًا، وَإِنْ حَاضَتْ حَاضًا، وَصَاحِبُ الْمَرْأَتَيْنِ بَيْنَ نَارَيْنِ تُشْعَلَانِ. وَكَانَ يَنْكِحُ أَرْبَعًا جَمِيعًا، وَيُطَلِّقُهُنَّ جَمِيعًا.

- في السابق كان الأب يقوم بالشئون المالية في الأسرة فكان العلماء مثل الغزالي يوصي الزوج بالسرية التعامل في قضاء الحوائج المالية قائلاً " ولا تعلم أهلك وولدك فضلاً عن غيرهم مقدار مالك فإنهم إن رأوه قليلاً هنت عندهم وإن كان كثيراً لم تبلغ قط رضاهم "(إحياء علوم الدين: ص ٥٤٠، بداية الهدية: ص ٢٥).

- قال رفاة الطهطاوي " ينبغي صرف الهمة في تعليم البنات والصبيان معاً لحسن معاشرته الأزواج، فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك ، فإن هذا مما يزيدهن أدباً وعقلاً ، ويجعلهن بالمعارف أهلاً ، ويصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام والرأي ."

- "معظم الكتابات الإسلامية الحديثة لم تنصف المرأة، بل شهدت الساحة الفكرية العربية تراجعاً كبيراً لدور المرأة في المجتمع، وأصبحت معظم الكتابات تميل للدعوة إلى تضيق مساحة الحرية للمرأة، بل أصبح البعض لا يرى المرأة إلا من خلال الرغبة الجسدية، ما جعل العقل والحواس لا ترى في المرأة إلا بعداً واحداً" (الطراح، ٢٠٠٤م).

- قال قاسم أمين "لو كانت عوائدنا فيما يتعلق بالنساء لها أساس في شريعتنا لكان في ميلنا إلى المحافظة عليها ما يشفع لنا، أما وقد برهننا على أن كل ما عرضناه من أوجه الإصلاح يتفق تمام الاتفاق مع أحكام الشريعة ومقاصدها، فلم يبق لنا عذر في التمسك بما سوى أنها قد تقدست بمرور الزمان الطويل، وأنا غفلنا عن مصالحننا وتدبير شؤوننا" (عمارة، ٢٠٠٦، ص ٤١٢) .

-قد يقتاد الرجل زوجته بعض الأمصار الإسلامية إلى بيت (بيت الطاعة، بيت جواد...) وتجنس فيها وتلاقي أفضع معاملة فتجبر على العودة مكرهة إلى بيت زوجها (إزرويل، ٢٠٠٤م، ص ١٢٤، ١٣٧). يقول علال الفاسي أحد أعلام الحركة الإسلامية في القرن العشرين "والحق أن المرأة وحدها هي التي تستطيع تحرر نفسها مما كبلتها به الأجيال وما صنعتها بها التقاليد" (إزرويل، ٢٠٠٤م، ص ١٦٦).

## قراءات في تربية الفتيات

من كتابات محمد حسين فضل الله (٢٠٠٩م) " إن علينا أن نفهم أن البنت إنسان كما هو الذكر أو الولد إنسان، وإن علينا أن نربي إنسانيتها بالطريقة التي لا تتقل روحها، ولا تجعلها تشعر بأنها إنسان متهم في سلوكه، بحيث لا بد لها أن تدافع عن سلوكها في أية لحظة من اللحظات وفي أي نظرة أو أي وضع، كما لو كانت مطوّقة بالملاحظات التي تحاصرها.

إن التربية تتركز - في العادة - على أساس أن البنت هي (العار) و(الشرف) وأنها الإنسان الذي يخاف عليه من الذكر، ولا بد لنا أن ندخلها في علبة مغلقة يملك الأب أو الأخ مفتاحها، في الوقت الذي يعتبر العار في الإسلام مسألة فردية، فالبنت عندما تمارس عاراً فهي تعيش عارها وليس للعائلة دخل فيه، وهكذا عندما يمارس الولد ما يستوجب العار فإن العار هو عاره لا عار الأهل.

إن علينا أن نربي البنت على أنها إنسانة لها إرادتها في الحياة، ولها نهجها الذي خطّه الله في الحياة والذي يتمحور حول التزامها بحدوده في روحها وجسدها وعقلها وحركتها في الحياة، كما أن علينا أن نربي الولد على هذا النهج أيضاً.

### عقدة الاضطهاد

إن التمييز بين البنت والولد يشكل عقدة لدى البنت، بحيث تشعر بالاضطهاد في إنسانيتها من خلال تحمّلها لمسؤولية شرف العائلة بما لا يتحمّله الولد، ومن خلال إحاطتها بكل النظرات الشاكلة والمتهمّة سواء في خروجها من المنزل أو في علاقاتها وأوضاعها بما لا يُتهم به الولد.

إن هذه التربية غير صحيحة، فالعفة حدّ إسلامي للذكر والأنثى على السواء، وإن الشرف حالة فردية في الذكر والأنثى على السواء، وربما كان ضعف الأنثى أمام قوة الرجل، في الجانب الأنثوي في شخصيتها، يطرح علينا مسألة تنمية إرادة الفتاة بالطريقة التي تمكّنها من تأكيد رفضها للانحناء أمام رغبات الآخرين، وبذلك تتمكن من بناء شخصية قوية وأخلاق راسخة، بحيث تصمد أمام الإغراء أو الانحراف.

### الزوجة الناجحة والأم الصالحة

إن علينا أن نربي الفتاة كيف تكون زوجة ناجحة وأماً صالحة، كما نربي الولد كيف يكون زوجاً ناجحاً وأباً صالحاً، ذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يفرّق بين الذكر والأنثى في العمل الصالح كما لم يفرق بينهما في العمل غير الصالح أيضاً، فجعل العقوبة سواء في السارق والسارقة والزاني والزانية، وجعلهم في

موقع سواء في تحمل المسؤولية، وتلقي الثواب أو العقاب، وهو ما أكده الله سبحانه وتعالى في حديثه عن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والصادقين والصادقات، وغير ذلك مما عدّده الله في سورة الأحزاب.

فمن خلال هذا الإيجاء نعرف أن الله لم يكلّف المرأة في أخلاقيتها بأكثر مما كلف الرجل، ولم يحذّر المرأة بأكثر مما حذّر الرجل، فإذا أردنا للتربية أن تنطلق في الخط المستقيم، فلا بد أن تنطلق في الخطوط الشرعية والمفاهيم الإسلامية التي لم تجد فرقاً بين الرجل والمرأة على السواء" (ص ١١٨ - ١٢٠).

### أهم المراجع العربية

- إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان (١٩٨٩م). منار السبيل. المكتب الإسلامي.
- ابن جبرين، عبدالله (١٤١٩ هـ). الأجوبة الفقهية على الأسئلة التعليمية والتربوية. ط ١، الرياض: دار القاسم.
- ابن سعد، محمد (١٩٩٧م). الطبقات الكبرى (ابن سعد). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن عبد البر (٢٠٠٠م). جامع بيان العلم وفضله. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن علان الصديقي (بدون تاريخ). دليل الفالحين. بيروت دار المعرفة.
- أبو الإسعاد، محمد (٢٠٠٥م). نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أبو شقة، عبدالحليم (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م). تحرير المرأة في عصر الرسالة. ط ٥، الكويت: دار القلم.
- أبوعمشة، عادل (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م). قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر. بيروت: دار الجيل.
- الأبياري، عبدالجواد (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٤ م). تحفة الرؤساء في ما ورد في النساء. دمشق: دار التوفيق.
- الأحمد عبدالعزیز، وأبو علي، وفقى حامد (٢٠٠٩م). الإدارة التعليمية: أسسها وتنميتها في ضوء الاتجاهات الإدارية المعاصرة. ط ١، الكويت: الدار الأكاديمية للنشر والتوزيع.
- أحمد، أكبر (٢٠٠٤م). الإسلام تحت الحصار. ترجمة د. عزت شعلان. ط ١، بيروت، دار الساقى.
- إزرويل، فاطمة الزهراء (٢٠٠٤م). المسألة النسائية في الخطاب العربي الحديث من التحرير إلى التحرر. ط ١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

- إزرويل، فاطمة الزهراء (٢٠٠٤م). المسألة النسائية في الخطاب العربي الحديث من التحرير إلى التحرر. ط١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- الإستانبولي، محمود مهدي (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م). تحفة العروس: أو الزواج الإسلامي السعيد. ط١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- الأشقر، عمر سليمان (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧م). صحيح القصص النبوي. ط٦، عمان: دار النفائس.
- آل حمدان، عادل بن عبدالله (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م). وصايا الآباء لمعلمي الأبناء. في الجامع كتب آداب المعلمين. جمع وتعليق: عادل بن عبدالله بن سعد آل حمدان. ط١، جدة.
- إمام، إمام عبدالفتاح (٢٠٠٩م). نساء فلاسفة. بيروت: دار التنوير.
- أيوب، حسن (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م). السلوك الاجتماعي في الإسلام. ط١، القاهرة: دار السلام.
- باحارث، عدنان حسن (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م). أسس التربية العقلية للفتاة المسلمة. ط١، بيروت: الأردن.
- البحيرمي، سليمان بن محمد بن عمر (بدون تاريخ). تحفة الحبيب على شرح الخطيب. دار المعرفة.
- بدوي، عبدالرؤوف محمد (٢٠٠٩). نحو فلسفة نسوية للتربية لمقاومة النظام الأبوي. في مجلة مستقبل التربية. المجلد: الخامس عشر، العدد: ٥٧، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- بديري، نادين (١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م). الطفلة والعجوز. جريدة الراي: ٨ فبراير، العدد ١١١٧٩ - AO الكويت.
- براضة، نزهة (٢٠٠٨م). الأنوثة في فكر ابن عربي. ط١، بيروت: دار الساقبي.
- البرعي، وفاء محمد (٢٠٠٢م). دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري. تقديم د. شبل بدران. ط١، الاسكندرية دار المعرفة الجامعية.
- بركات، حلیم (٢٠٠٩م). المجتمع العربي المعاصر: بحث في تغير الأحوال والعلاقات. ط٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- البروسوي، اسماعيل حقي (١٩٨٥م). روح المعاني. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- بكار، عبدالكريم (١٤٢٨ هـ). إلى أبنائي وبناتي: ٥٠ شمعة لإضاءة دروبكم. الرياض: مؤسسة الإسلام اليوم.
- البناء، جمال (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م). المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء. القاهرة: دار الفكر الإسلامي.
- بنت الحسين، آمال قرداش (٢٠٠١م). دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى. قطر: سلسلة الأمة عدد رقم ٧٠ رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية.



البهاء العاملي (بدون تاريخ). الكشكول. في المرجع الأكبر للتراث الإسلامي (شركة العريس).  
البهوتي، منصور بن يونس (١٩٩٧م). كشاف القناع عن متن الإقناع.  
التنمية الإنسانية العربية ٢٠٠٩ تحديات أمن الإنسان في البلدان. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. لبنان:  
المكتب الإقليمي للدول العربية.  
توفيق، صلاح الدين محمد (٢٠٠٢م). الإبداع الفكري والتنوير التربوي في فلسفة العقلية العربية  
(الرشدية- أنموذجا). الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث للطباعة والنشر والحديث.  
الجعفري، ماهر إسماعيل (٢٠١٠م). الفكر التربوي الإسلامي في أصول التربية. الأردن: دار اليازوري  
العلمية.  
الحبشي، محمد (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م). البركة في فضل السعي والحركة. القاهرة: المكتبة الأزهرية.  
الحجلوي، لطفي (٢٠٠٩م). فلسفة التربية: الإشكاليات الراهنة. بيروت: التنوير.  
الحدري، خليل بن عبدالله بن عبدالرحمن (١٤١٨هـ). التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة  
المدرسة الثانوية منها. المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى.  
حسانين، أحمد حمدان (٢٠٠٨م). التراث التربوي في المذهب المالكي. تقديم أ. د. مصطفى رجب.  
دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع. مصر.  
حسن، زينب (١٩٨٧م). تعليم المرأة. في الفكر التربوي الإسلامي: الأصول والمبادئ. تونس:  
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.  
الحشر، عائشة عبدالعزيز (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م). خلف أسوار الحرم ملك. ط ١، لبنان: الدار العربية للعلوم.  
الحمال، أيمن محمد عبدالعزيز (٢٠٠٨م). التراث التربوي في المذهب الحنفي. تقديم أ. د. مصطفى  
رجب. ط ١، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع. مصر.  
الحمد، تركي (٢٠٠٥م). المجتمع المدني العربي: إشكالية مفهوم وأزمة واقع. في العصر العربي الجديد:  
الواقع والتحديات. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.  
الحمد، محمد بن إبراهيم (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م). التقصير في تربية الأولاد: المظاهر، سبل الوقاية  
والعلاج. ط ٤، الرياض، دار ابن خزيمة.  
الحمد، محمد بن إبراهيم (٢٠٠٤م). من صور تكريم الإسلام للمرأة. موقع صيد الفوائد.  
حمود، رفيقة سليم (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م). تعليم الإناث في الدول العربية: الإنجازات والمعوقات وآفاق  
المستقبل. تقديم: حامد عمار، ط ١، الدار المصرية اللبنانية.  
الحنبلي، محمد بن مفلح (١٩٨٨م). المبدع شرح المقنع.  
الحنيني، ناصر بن يحيى (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٨م). التطرف المسكوت عنه.

الحيدري، إبراهيم (٢٠٠٣ م). النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب. ط ١، بيروت: دار الساقى.  
خاتمي، محمد (٢٠٠١ م). المجتمع المدني: مقاربات في دور المرأة والشباب. ترجمة: سرمد الطائي. ط ١،  
بيروت: دار الفكر المعاصر.

الخباز، محمد (٢٠٠٩ م). صورة المرأة في التراث الشعبي: تفكيك لآليات العقل النصي. ط ١، بيروت:  
الانتشار العربي.

الخراشي، محمد بن عبدالله (بدون تاريخ). منح الجليل شرح مختصر نخليل. دار صادر.

الخرافي، نجمة يوسف ناصر (٢٠٠٧ م). علم النفس الإكلينيكي. ط ١، الكويت.

خنيفر، حسين (٢٠٠٧ م). أصول الإدارة التربوية في فكر الإمام علي (ع). في: النظام التربوي  
الإيراني: محاولات إعادة تشكيل المفاهيم. ط ١، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

الخياط، محمد هيثم (٢٠٠٨ م). المرأة المسلمة وقضايا العصر. ط ١، دمشق: دار الفكر.

دار ابن خزيمة (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م). فتاوى للمدرسين والطلاب. ط ١، الرياض، دار ابن خزيمة.

الدجاجي، سعد الله (د. ت). سفت الملح. موقع الوراق: <http://www.alwaraq.net>

دولة، سليم (٢٠٠٩ م). الثقافة.. الجنسانية الثقافية: الذكر والأنثى ولعبة المهمل. ط ١، دمشق: دار  
الفرقد.

الدومي، عبدالقادر بن بدران (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م). شرح كتاب الشهاب في الحكم والمواعظ  
والآداب. اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً: نور الدين طالب. ط ١، بيروت: دار النوادر.

الراشد، محمد أحمد (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م). أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي. ط ١، كندا: دار  
المحراب.

رامي، ليلى (٢٠٠٥ م) قراءة في استدراقات أم المؤمنين عائشة على روايات الصحابة، في مجلة  
إسلامية المعرفة - العدد ٣٩ أكتوبر ٢٠٠٥ م (محور العدد: علم متن الحديث).

الربيعي، أحمد (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م). النساء: في مواجهة تطرفين. جريدة الشرق الأوسط. العدد

9646.

رجب، مصطفى وطه، حسين (٢٠٠٩ م). مناهج البحث التربوي بين النقد والتجديد. ط ١، مكتبة  
دار العلم والإيمان.

الرشدان، عبدالله زاهي (٢٠٠٤ م). الفكر التربوي الإسلامي. ط ١، الأردن: دار وائل.

الرشيد، نورة بنت محمد (١٤٢٧ هـ). شخصية المرأة في القصص القرآني: دراسة أدبية تحليلية. ط ١،

الرياض: دار ابن الجوزي.

الرفاعي، عبدالجبار (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م). إسلامية المعرفة.. الواقع والمتخيل. موقع (إسلام أون لاين).

الزبيدي، أحمد بن بن عبد اللطيف (بدون تاريخ). تاج العروس. دار إحياء التراث العربي.

الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي. تفسير الكشاف. بيروت: دار الفكر.

الزهراني، معجب سعيد (١٤٢٨-٢٠٠٧م). صورة المرأة في خطاب ابن رشد. مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد ١٠٥ السنة السابعة والعشرون.

الزبيدي، مفيد (١٩٩٨م). بدايات النهضة الثقافية في منطقة الخليج العربي في النصف الأول من القرن العشرين. دولة الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

سروش، عبدالكريم (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م). مسألة المرأة بين القوانين الفقهية ونظام القيم الأخلاقية. في: المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر: قضايا وإشكاليات. ط ١، بيروت: دار الهادي.

سعداوي، عمرو عبدالكريم (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م). قضايا المرأة في فقه القرضاوي. ط ١، القاهرة: قطر الندى.

سلطان، محمود ومجاهد، أشرف (٢٠٠٨م). وعي طالبات جامعة الأزهر ببعض القضايا المرتبطة بحقوق المرأة في الإسلام. في مستقبل التربية العربية. العدد الرابع والخمسون. الإسكندرية: المركز العربي للتعليم والتنمية.

السنبل، عبدالعزيز بن عبدالله (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م). الأبعاد السياسية لحركة تعليم الكبار: منظور عالمي. في المجلة التربوية. الكويت: ملحق العدد ٧٥، المجلد ١٩، جامعة الكويت.

السيف، توفيق (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م). الحداثة كحاجة دينية. ط ١، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

السيوطي (بدون تاريخ). شرح السيوطي على السنن الصغرى. بيروت: مكتبة المعرفة.

الشثري، عبدالرحمن (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م). المرأة والولايات السيادية. ط ١، الرياض: دار المغني للنشر.

الشحود، علي (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م). الخلاصة في أصول التَّربِيَةِ الإسلاميَّة. ماليزيا: بهانج- دار المعمور.

الشرابي، علي (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م). المرأة في رحاب السنة النبوية المطهرة. ط ١، الكويت: اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة.

الشربيني، محمد بن أحمد (٢٠٠٤م). تفسير السراج المنير الشربيني. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشريف، محمد بن شاكر (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م). نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ. ط ١، الرياض: كتاب البيان، سلسلة تصدر عن مجلة البيان.

الشطي، إسماعيل (٢٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م). الجهاد سبيلنا .. محاولة للفهم (٢). جريدة الوطن. الخميس ٣ فبراير ٢٠٠٥ م، رقم العدد: ١٠٤١٦ - ٤٨٦٢ السنة ٤٣.

الشلقاني، هند (٢٠٠٩ م). قضايا المرأة وحقوقها في التعليم والعمل ومسألة الزني ودورها في المجال العام. في مؤتمر "تجاهات التجديد والإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث". مكتبة الإسكندرية-١٩-٢١ يناير ٢٠٠٩ م.

الشوكاني، محمد بن علي (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م). فتح التقدير الجمع بين فني الرواية والدراية من علم التنسير. راجعه وعلق عليه الشيخ هاشم البخاري والشيخ خضر عكاري. بيروت: المكتبة العصرية.

الصالحى، محسن ، وملك، (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م). مواصفات الأزواج في عيون الزوجات: رؤية تربوية من حديث أم زرع. ط ١، الكويت: اقرأ.

الصالحى، محسن وعبيد، أبو بكر (٢٠٠٥ م). نظرات في الفكر التربوي الإسلامي. ط ١، الكويت: مكتبة الدار الأكاديمية.

الصراف، شيماء (٢٠٠٨ م). أحكام المرأة بين الاجتهاد والتقليد: دراسة مقارنة في الشريعة والفقه والقانون والاجتماع. ط ١، بيروت: الانتشار العربي.

الصلابي، علي (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م). الوسطية في القرآن الكريم. ط ١، القاهرة: مؤسسة اقرأ.

طوطح، خليل (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م). التربية عند العرب. ط ١، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

طي، محمد (٢٠٠٨ م). حقوق المرأة في الإسلام بالمقارنة مع مضمون "الاتفاقية على إلغاء كل أشكال التمييز تجاه المرأة. في: المرأة وقضاياها: دراسات مقارنة بين النزعة النسوية والرؤية الإسلامية. تأليف مجموعة من المؤلفين. ط ١، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

عباس، دلال (٢٠٠٢ م) حقوق المرأة في الإسلام بين النص والممارسة. المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر: إشكالات التراث وتحديات الحداثة، تأليف مجموعة من الباحثين.

عباس، صباح (١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦ م). لمحات من القيم التربوية في القرآن الكريم. ط ١، المملكة العربية السعودية: مركز البيت السعيد للتدريب الاجتماعي.

عبدالرحيم، محمد (١٤٢٥ هـ-٢٠٠٥ م). قصص رواها الرسول صلى الله عليه وسلم. دمشق: دار الإيمان.

العبدالله، يوسف إبراهيم (٢٠٠٣ م) تاريخ التعليم في الخليج العربي (١٩١٣-١٩٧١ م). ط ١، الدوحة.

عثمان ، خالد محمد (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م). جزء في أحكام مشاوراة النساء. راجعه وقدم له: عبدالمحسن بن محمد المنيف. ط ١، مصر: دار علم السلف.

العراقي، عاطف (٢٠١٠م). البحث عن المعقول في الثقافة العربية: رؤية نقدية. ط٢، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

عزب، محمد سعد السيد أحمد (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م). الحياة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي (٤٢٩ - ٥٥٨هـ - ١٠٣٧ - ١١٦٢هـ). ط١، القاهرة: شركة نوابغ الفكر.  
العلواني، رقية طه جابر (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م). أثر العرف في فهم النصوص (قضايا المرأة نموذجاً). ط١، دمشق: دار الفكر المعاصر.

العلواني، طه (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م). نحو تأسيس علم المراجعات في تراثنا الإسلامي. موقع مدارك.  
علي، سعيد إسماعيل (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م). أصول التربية الإسلامية. ط١، القاهرة: دار السلام.  
عمارة، محمد (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م). قاسم أمين الأعمال الكاملة. ط٣، القاهرة: دار الشروق.  
عويد، عدنان (٢٠٠٦م). الأيديولوجيا والوعي المطابق. ط١، دمشق: التكوين.  
الغذامي، عبدالله (٢٠٠٤م). حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية. المغرب: ط٢، المركز الثقافي العربي.

غزاوي، زهير (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م). ملامح النظرية الاجتماعية عند السيد محمد حسين طباطبائي، في تفسير الميزان - قضية المرأة-. في كتاب المنهاج: المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر: إشكاليات التراث وتحديات الحداثة. ط١، لبنان: بيروت. الغدير للطباعة والنشر والتوزيع.

فراج، عفيف (٢٠٠٩م). المرأة بين الفكر والابداع (دراسة). ط١، بيروت: دار الآداب.  
فرج، أماني أبو الفضل (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م). ما لم يقله الفقيه. ط١، دمشق: دار الفكر.  
فضل الله، حسين (١٤٢٥ - ٢٠٠٥م). دنيا المرأة. حاورته سهام حمية ومنى بليبل. ط٦، بيروت: دار الملاك.

فضل الله، محمد حسين (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م). دنيا الشباب. بيروت: دار الملاك.  
الفقيه، شير (٢٠٠٩م). المرأة العربية المعاصرة وإشكالية المجتمع الذكوري: رؤية البعد السيكلوجي لدى الفرد المسلم تجاه المرأة. ط١، بيروت: دار البحار.  
فلية، فاروق عبده (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م). الجنادر.. غزو ثقافي: مواجهة تربوية من منظور إسلامي. تقديم احمد عمر هاشم. ط١، القاهرة: دار الكتب.  
الفيفي، عبدالله (٢٠٠٦م). نقد القيم: مقاربات تخطيطية لمنهاج علمي جديد. ط١، بيروت: الانتشار العربي.

القابسي، علي بن محمد (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م). الرسالة المفضلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين. في الجامع في كتب آداب المعلمين. جمع وتعليق: عادل بن عبدالله بن سعد آل حمدان. ط١، جدة.

القحطاني، مسفر (٢٠٠٨م). أثر المنهج الأصولي في ترشيد العمل الإسلامي. ط١، بيروت: الشبكة العربية.

القديمي، نواف (٢٠٠٨م). الإسلاميون سجلال الهوية والنهضة مقاربات في الفكر والممارسة. ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

قرامي، آمال (٢٠٠٧م). الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية: دراسة جنديرية. ط١، بيروت: دار المدار الإسلامي.

القرضاوي، يوسف (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م). كلمة القرضاوي في افتتاح مؤتمر الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين، الذي عقد في العاصمة البريطانية لندن.

القرضاوي، يوسف (٢٠٠٤م). خطابنا الإسلامية في عصر العولمة. ط١، القاهرة دار الشروق.

القرضاوي، يوسف (٢٠٠٨م). خطابنا الإسلامية في عصر العولمة. ط٢، القاهرة دار الشروق.

القرطبي، ابن عبدالبر (١٩٩٩م). بجمحة المجالس وأنس المجالس وشحن الناهن. بيروت: دار الكتب العلمية.

قنبري، بخش علي (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م). المرأة في التراث العرفاني: رابعة العدوية وسبيل العشق الإلهي. في: المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر: قضايا وإشكاليات. ط١، بيروت: دار الهادي.

الكبيسي، عبدالله وآخرون (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م). المكانة الاجتماعية للمعلم. ط١، الدوحة: دار الثقافة.

الكندري، لطيفة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م). تشجيع القراءة. ط١، الكويت: المركز الإقليمي للطفولة والأمومة.

الكندري، لطيفة حسين - ملك، بدر محمد ملك (٢٠٠٩م). معوقات تربية المرأة في الفكر التربوي الإسلامي وتداعياتها المعاصرة. مجلة البحث في التربية وعلم النفس. المجلد ٢٢، العدد ٢، أكتوبر. جامعة المنيا.

الكيلاي، عبدالله إبراهيم زيد (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م). السياسة الشرعية: مدخل إلى تجديد الخطاب الإسلامي. ط١، عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.

لجزيري، عبدالرحمن (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م). الفقه على المذاهب الأربعة. اعتنى به وراجعه نجيب الماجدي، وأحمد أبوالشباب. بيروت: المكتبة العصرية.

لطفی، زکی (۲۰۰۵م). المرأة وطواغيت العصر .. الطاغوت الاول : الاستبداد الديني. مجلة

الحوار المتمدن: العدد ۱۳۹۶. موقع الحوار المتمدن:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=52073>

مجلس التعاون لدول الخليج العربية (۲۰۰۴م). التطوير الشامل للتعليم بدول مجلس التعاون. الرياض.  
محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (۱۹۹۶م). زاد المعاد في هدي خير العباد. بيروت: مؤسسة الرسالة.

محمود، إبراهيم (۲۰۰۲م) الشبق المحرم: أنطولوجيا النصوص الممنوعة. ط ۱، بيروت: رياض الريس.  
المدخلي، ربيع بن هادي عمير (۱۴۲۵هـ- ۲۰۰۴). الحقوق والواجبات على الرجال والنساء في الإسلام ويلييه طاقات المرأة وقدراتها العقلية والعلمية تتجلى في شخصية د.عزيزة المانع. ط ۱، الجزائر: مجالس الهدى.

المرجع الأكبر للتراث الإسلامي (DVD). شركة العريس للكمبيوتر. الإصدار الثاني [والثالث].  
المرزباني (بدون تاريخ). نور القبس. بيروت: دار الرسالة.  
المرنيسي، فاطمة (۲۰۰۳م). شهرزاد ليست مغربية. ترجمة ماري طوق، ط ۲، بيروت: المركز الثقافي العربي.

المزيني، حمزة (۲۰۰۸م). ثقافة التطرف: التصدي لها والبديل عنه. ط ۱، بيروت دار الانتشار العربي.  
المسعودي، علي (۲۰۰۰م). سعاد الصباح: حمامة السلام. ط ۱، الكويت: المجموعة الإعلامية العالمية.

المشتولي (بدون تاريخ). سلوة الأحران للاجتنااب عن مجالسة الأحداث والنسوان.  
المغراوي (۱۴۳۰هـ - ۲۰۰۹م). جامع جوامع الاختصار والبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان. في الجامع في كتب آداب المعلمين. جمع وتعليق: عادل بن عبدالله بن سعد آل حمدان. ط ۱، جدة.

المقدسي، محمد بن مفلح (۱۹۹۷م). الفروع.  
ملكيان، مصطفى (۱۴۲۹هـ- ۲۰۰۸م). مسألة الإسلام، النسوية وسيادة الرجل. في: المرأة في الفكر الإسلامي المعاصر: قضايا وإشكاليات. ط ۱، بيروت: دار الهادي.

المنيس، وليد عبدالله (۱۴۱۸هـ - ۱۹۹۸م). عالم الكويت وفقهها وفرضيها الشيخ: محمد بن سليمان آل جراح: سيرته ومراسلاته وآثاره العلمية. ط ۱، الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية.

المهريزي، مهدي (٢٠٠٨م). فقه المرأة: إشكالياته وتحدياته: دراسة نقدية ومحاولات تأسيس لمنهج جديد. في: فقه المرأة: دراسات نقدية ومنطلقات التجديد المنهجي. ط ١، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

مهنا، فريال (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م). إسلام أم ملك يمين. ط ١، دمشق: دار الفكر. موسوعة الأسرة (١٤٢٤ - ٢٠٠٣م). ط ١، الكويت: اللجنة الاستشارية العليا على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

الموشي، سائلة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م). الحریم الثقافي بين الثابت والمتحول. ط ١، الرياض: دار المفردات. ميرزائي، نجف علي (٢٠٠٨م). إشكاليات في قراءة قضايا المرأة إسلامياً (المرأة في نهج البلغة نموذجاً). في: المرأة وقضاياها: دراسات مقارنة بين النزعة النسوية والرؤية الإسلامية. تأليف مجموعة من المؤلفين. ط ١، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

الميلاد، زكي (٢٠٠٨م). الإسلام والتجديد: كيف يتجدد الفكر الإسلامي. ط ١، المغرب: المركز الثقافي العربي.

النجار، باقر سليمان (٢٠٠٨م). الديمقراطية العنصرية في الخليج العربي. ط ١، بيروت: دار الساقى. النجدي، محمد بن حمد الحمود (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م). مجالات عمل المرأة المسلمة المعاصرة. ط ٢، الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي: اللجنة العلمية والثقافية.

الهيتمي، أحمد بن محمد بن حجر (١٩٨٧م). تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال. تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم. القاهرة: مكتبة القرآن.

الوشمي، عبدالله (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م). فتنة القول بتعليم البنات في المملكة العربية السعودية: مقارنة دينية وسياسية واجتماعية. ط ١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

الولي، مصطفى (٢٠٠٨م). المرأة والحداثة: من الاضطهاد إلى الاستلاب. في: المرأة وقضاياها: دراسات مقارنة بين النزعة النسوية والرؤية الإسلامية. تأليف مجموعة من المؤلفين. ط ١، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

#### أهم المراجع الأجنبية

Akkari, A (2008). Socialization, learning , and basic education in Islamic contexts. In *Educational theories and practices from the majority world*. Edited by: Dasen, P & Akkari, A. London: SAGE Publication.



butters, a. l (2009). saudi's small steps: women are steadily winning rights and greater freedom. a look behind the veil of a society. in *time*. vol. 174, no. 15. october.

Gewirtz, S & Cribb, A (2009). *Understanding education A sociological perspective*. Cambridge: Polity Press.

OULD BAH , M. E (1998). *Islamic Education Between Tradition and Modernity*. Translated from Arabic by: Dr. Abdeslam El- Hakkouni. ISESCO .